14 me Année No. 703

Lundi — 23 — 12 — 1946

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٠٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ محرم سنة ١٣٦٦ — ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

تناسخ العادات

للأستاذ عباس محمود العقاد

ما ذا يقول السائح الغريب إذا نزل بالقاهرة يوم الأحد فرآها — أو رأى الكثير من أحيائها — مغلقة الدكاكين والمصارف ومكاتب الأعمال ؟

إنه سيحار في تعليل هذه الظاهرة ...

وربما رفع بصره إلى الأسماء، ليتبين أديان أصحابها فيزداد حيرة على حيرة ، لأنه يرى بينها اسم محمد وحسن ومصطفى ، كما يرى بينها اسم جرجس ونيقولا وكوهين !

فليس اليوم يوم صلاة دينية عند جميع هؤلاء ، وليست البطالة لمعنى من معاني الدين يتفق عليه أصحاب الدكاكين أجمعين

ألعل القوم إذن خاضعون لحكومة مسيحية ؟

ولا هذا أيضاً هو سبب البطالة في يوم الأحد . فإن حكومة البلد حكومة إسلامية ، ولم يكن حكامها الأجانب — يوم كانوا يحكمونها — ممن يقترفون هذه الغلطة السياسية التي لا تؤمن عقباها ، وهي غلطة الإكراه في مسائل المعتقدات

ولا شك أن الحيرة ستزداد وتزداد إذا طال المقام بالسائح الغريب إلى العيد السنوي المشهور باسم عيد الميلاد

أي إلى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الثاني عشر من السنة الميلادية

فإنه سيرى أناساً من المسلمين يسهرون في ليلة هذا العيد ويحتفلون به في المنازل والمحافل ، ويطربون فيه ويقصفون

أتراهم يقصدون الاحتفال لمعنى من معاني الدين ؟

كلا . ولعلهم لا يذكرون ما معناه على التحقيق . ولكن العادة الاجتماعية هي التي حسنت لهم هذا الاحتفال على سبيل المحاكاة ، والعادة الاجتماعية تعززها المصالح الاقتصادية هي التي عممت بين فريق من المسلمين بطالة يوم الأحد ، لأنهم يرتبطون بالمصارف والشركات التي تنقطع عن العمل فيه ، فلا يحبون أن ينقطعوا يومين كل أسبوع ، ولا يستطيعون أن يهملوا أيام الأسبوع كله . فبطالة الأحد إذن أيسر الحالين

لكن ما العمل إذا كان السائح الغريب من أبناء القرن الأول للميلاد ورأى هذه الأعياد الأسبوعية ، وهذا العيد السنوي ، في لندن أو باريس أو رومة أو برلين ، ولا نقول في القاهرة أو دمشق أو بغداد ؟

أيخطر على البال أنه لا يرى في الأمر عجباً ولا يحار كما حار صاحبه من إحياء هذه الأعياد بين المسلمين في العصر الحديث ؟

أيخطر على البال أنه سيرى الأمر طبيعياً مألوفاً لا يوجب

التساؤل ولا يتطلب التفسير ؟

كلا . فإن حيرته لأصعب . وإن عجبه لأعجب ! لأن الخامس والعشرين من شهر ديسمبر لم يكن قط عيد الميلاد في القرن الأول ولا في القرن الثاني ولا في القرن الثالث للسيد المسيح

ولم يكن يوم الأحد قط يوماً يحتفل به المسيحيون في تلك القرون الأولى

بل كان يوم الأحد يوماً يحييه عباد الشمس ، لأنه كان عندهم يوم الشمس كما يسمى بالانجليزية إلى اليوم Sun day .

وكان اليوم الخامس والعشرون من شهر ديسمبر هو يوم انتصار الشمس على أعدائها الثائرين عليها ، وهم أرباب الظلام .

ففي هذا اليوم — كما ظهر لهم من حسابهم — يأخذ الليل في القصر ويأخذ النهار في الطول ، وفي هذا اليوم — على هذا الاعتبار — ترتد جيوش الظلام أمام جيوش النور ، وترجع للشمس حصتها الوافية من الزمن ، فلا يسلبها الظلام حصتها من الملوين .

فكان المصريون يحتفلون في هذا الموعد بعيد حوريس ، وكان اليونان الأسيويون يحتفلون فيه بعيد مترا إله النور ، وكان الرومان يقيمون في الأسبوع كله — من اليوم السابع عشر إلى اليوم الرابع والعشرين — عيداً يسمونه الزحلى Saturnalia ، ويتبادلون فيه الهدايا ويقدمون القرابين إلى الأرباب

ولم تتفق كلمة الكنيسة الغربية على الاحتفال باليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر إلا في منتصف القرن الرابع للميلاد . أي سنة ٣٥٤ .

وكان رؤساء الكنائس قبل ذلك يرون أتباعهم يقبلون على محافل الوثنيين في تلك الأعياد فيصرفونهم عنها ويحببون إليهم أن يشهدوا الصلوات تكريما للسيد المسيح بدلا من شهود القاصف والملاهي ومعابد الوثنية التي تفتنهم عن الايمان الصحيح .

ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم يثبتون تاريخ الميلاد ويوم الاحتفال ، بل لأنهم يرون السيد المسيح أحق بالتكريم والذكرى من مترا وحوريس والشمس وغيرها من الكواكب . ثم تدرجوا إلى الاحتفال بميلاد السيد المسيح بديلا من ميلاد تلك الأرباب .

على أن المتطهرين الذين اشتهروا باسم « البيوريتان » في البلاد الانجليزية حرموا الاحتفال باليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر واستصدروا بذلك قرارا من البرلمان سنة ١٦٤٤ ، وعللوه باستنكارهم لإحياء السنن الوثنية القديمة ، واستندوا إلى التواريخ الاغريقية والرومانية القديمة وإلى تاريخ الانجليز أنفسهم قبل التدين بالديانة المسيحية . فقد ذكر مؤرخهم الكبير بيد Bede الملقب بأبي التاريخ الانجليزي أن القبائل الانجليزية الأولى كانت تحيي ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر وتسميها ليلة الأمومة modranecht لأنهم كانوا يقيمون احتفالهم بها قبيل الفجر استقبالا لمولد النور وهو في باكورة أيامه ، ولم يكن « بيد » من المخالفين للكنيسة بل كان من كبار رجال اللاهوت ، وعاش في القرن السابع للميلاد بين القساوسة والرهبان .

عدد «الرسالة» الممتاز

سيصدر بعون الله عدد « الرسالة » الممتاز في الأسبوع الأول من شهر يناير سنة ١٩٤٧

فعادات اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر مزيج من عادات عشرين أمة أو تزيد ، وبعض هذه العادات سابق لمولد السيد المسيح وبعضها لاحق له بل متأخر إلى أيام القرون الوسطى .

فأما العادات السابقة فقد ألمنا بطرف منها فيما تقدم .

وأما العادات اللاحقة فمنها عادة الشجرة التي تسمى بشجرة عيد الميلاد وهي من شعائر البلاد الشمالية ولا سيما بلاد الجرمان .

ومنها عادة تعليق الجوارب إلى جانب الفراش وهي مأخوذة من الفرنسيين والباجيكيين .

ومنها تسمية القديس الذي يطوف بالهدايا على الاطفال وهم نائمون ، وهي مأخوذة من الهولنديين . واسم القديس سانتا كلوز من أسماء التدليل والاعزاز للقديس نكولا الذي سجنه القيصر دقلديانوس وأطلقه القيصر قسطنطين .. فليس هو من الهولنديين في أصله ولا من الأوربيين على التعميم ؛ لأنه من أبناء آسيا الصغرى

على أشهر الأقوال ، واسمه كلوز هو الاسم الذى يستخف على ألسنة الأطفال الصغار للتدليل والتحبيب .

شىء من آسيا الصغرى ، وشىء من فلسطين ، وشىء من هولندة ، وشىء من أوربة على الاجمال ، ويحتفل به المشارقة والمغاربة فى آسيا وأفريقية ... ومنهم مسلمون .

فأى دواء لعصبية العادات والشعائر أصح من هذا الدواء ؟ وأى سخف فى المعقول أسخف من عداوة إنسان لانسان أو أمة لأمة لاختلاف عادة يقال إنها عادة دينية ،وقد رأينا كيف يشترك اليوم الواحد فى احتفال عباد الشمس وعباد حوريس وعباد الله وعباد سائر الأديان بين سائر الأقوام ؟

ومن الطريف أن أناسا من هنود أمريكا الحمر تعودوا أن يقطعوا الجبن فى ليلة عيد الميلاد ولا يدرون فيم هذه العادة حين يسألون عنها .

ولكن الانجليز حملوها معهم إلى القارة الأمريكية فأصبحت من العادات الاجتماعية التى لا علاقة لها بشعائر الدين .

وهل لهـا مع ذلك علاقة بالدين عند الانجليز أنفسهم قبل الهجرة إلى القارة الامريكية ؟

كلا ... بل هى من بقايا عادات « القلت » التى كان يباشرها كهانهم المعروفون باسم الدرود Druid ... وكانوا يباشرونها قبل غزوة الرومان للجزر البريطانية .

وأطرف من هذا فى باب تسلسل العادات أن ولائم هذا العيد لا تخلو فى الشرق والغرب من الديك الذى يسميه المصريون بالديك الرومى ، ويسميه أهل الصعيد منهم بالديك المالطى ، ويسميه الانجليز بالديك التركى ، ويسميه الفرنسيون بالديك الهندى poule d' inde ومنها أخذنا كلمة « الدندى » التى نسمى بها هذا الديك فى بعض الأحيان .

فما علاقة هـذا الديك الموزع الأسماء بين الأمم بعيد ميلاد السيد المسيح ؟

أكان له شأن فى قرابين عيد الميلاد التى اصطلح عليها المسيحيون الأسبقون ؟

لم يكن له شأن قط بذلك العيد بين المسيحيين الأولين . بل لم يكن معروفا فى الدنيا القديمة قبل كشف القارة الأمريكية . لأنه كان من طيور أمريكا الشمالية ، ونقل منها إلى جنوب أوربة فأخطأوا فى نسبته إلى الشرق ، كعادتهم يومئذ فى نسبة كل وارد جديد إلى البلاد الشرقية .

ومع هذا يراه السائح الغريب حتما على مائدة الشرق والغرب فى ليلة عيد الميلاد ، فيحار ولا يرى آخر الأمر مناصا من نبذ الحيرة ظهريا فى أمثال هذه الشؤون .

فالعادات الاجتماعية وراثة بين البشر أجمعين ، وقلما تنحصر عادة من عادات المحافل العامة فى قبيل واحد يستأثر بها من البداية إلى النهاية .

إنها أسرة واحدة ... ففيم الخلاف على العادات والشعائر والأيام والأعياد ؟ ؟

عباس محمود العقاد

مقالات في كلمات :

في أثناء المرض ...!

للأستاذ علي الطنطاوي

موازين الرجال :

أصبحت من أيام فوجدت رأسي من ثقله كأنه حجر رحى ركّب بين كتفيّ ، وكأنه من الصداع يدقّ من داخله بالمداقّ ، وكأن جفنيّ قد شدّا إلى الأرض فما أفتحهما حتى يعودا فينطبقا ، ووجدت في حلقي إذ أبتلع ريقي مثل حزّة الشفرة ، وفي كل مفصل من مفاصلي ألماً ، وفي أعصابي من الخدَر مثل مشي النّمال ، ووقفت فاصطكت ركبتاي ، ودِير بي ، فعدت إلى الفراش ...

ولم يصدق أهل الدار أني مريض ؛ لأنهم لم يروا عليّ المرض أثرا ، ولأن المريض عندهم إنما هو الشاحب المهزول البادي العظام ؛ وأكّدت لهم القول فلبثوا مكذّبين ، يعتقدون أني أتدلل عليهم وأني أتكاسل وأوثر الراحة والاستمتاع برعاية المرض ، على إرهاق النفس بمعالجة نيران المحكمة ، وصبيان المدرسة ...

ويئست من إقناعهم بمرضي فأعرضت عنهم وتشاغلت بالتفكير .

* * *

فكرت في هؤلاء الناس إذا كانوا لا يميزون المريض من الصحيح ، والمرض شيء ظاهرة آثاره ، بادية أماراته ، فكيف يميزون الطيب من الخبيث ، والصالح من الطالح ؟ وكيف يقيسون أقدار الناس ، وكيف تكون عندهم موازين الرجال ؟ أو لا يخطئون في أحكامهم على الناس خطأ أهلي في الحكم على مرضي ، إذ يقيسون المرض بالشحوب والهزال ، ورب شاحب هزيل ما فيه إلا جلد على عظم وهو الصحيح المعافى الأيّد القوي ، وربّ سمين يكاد يَنْفَزِر[1] من كثرة الشحم واللحم ، وهو مُحْتَمِل أمراض وهو الضعف مجسّما والعجز ؟

وفكرت فيّ أنا ، كيف أحكم على الناس ؟ فذكرت أنه يدخل عليّ الرجل لا أعرفه فأحكم عليه بادي الرأي بثيابه ، فان كان يلبس العمامة والجبة أنزلته من نفسي منازل العلماء ، وإن كان بزي الفلاحين أحللته محال الفلاحين ، فإذا تكلم بدلت رأيي فيه وحكمت عليه بكلامه ، فإذا عاملته كان الحكم عليه بمعاملته ، فهذه عدة مقاييس : الثياب والكلام والمعاملة ، فأيها هو الصحيح ؟

ثم إن للناس مقاييس غيرها تعلو وتنخفض ، وتتسع وتضيق ، وتصح وتفسد ، فهم يقيسون عظمة الرجل بنقاه ، وبعلمه ، وبماله وبجاهه ، وبقوته ، وبمنصبه ، بل إن فيهم من يتخذ مقاييس أعجب وأدنى ، فصبّاغ الأحذية يقيس عظمة الرجال بأثمان أحذيتهم لا بعلمهم ولا بفضلهم ، والخياط يعتبرهم بطولهم وعرضهم ، ومفتش القطار بدرجات ركوبهم ، ونادل القهوة بحلوانهم[1] وأهل السجن يقيسون عظمة النزيل عليهم بجريمته ، فالقاتل أعظم من السارق ، وكلما عظم الجرم عظم القدر ، وعامة الناس العظمة عندهم بالشهرة[2] فإذا نزلت بلدهم المغنية أو الرقاصة ارتج لها البلد وتسامع بها الناس وتباشروا بمقدمها وهُرعوا كلهم إليها ، وإذا هبطه الأديب المفرد ، أو العلاّمة العَلَم ؛ لم يدر بمهبطه إلا القليل ، ولم يسع للسلام عليه إلا الأقلّ منهم ، وتقرأ على أحدهم المقالة تخبره أنها لرجل مغمور فيوسعها ذماً وقدحاً ، فإذا أخبرته أنها للكاتب المشهور انقلب القدح مدحاً والذم ثناء وإكباراً ...

ولو سألت الخاصة ما هي مقاييس العظمة لوجدتهم مختلفين ، وقديماً قال المثل السائر : « لو قلت للفرنسي فلان عظيم ، قال لك : ما هي شهاداته ؟ والإنجليزي يقول : ما هي معلوماته ؟ والألماني يقول : ما هي أعماله ؟ والأمريكي يقول : ما هي آثاره ؟ » . أما نحن فنقول : من هو أبوه ؟ لأن القاعدة عندنا اليوم ؛ أن من قصّر به نسبه أو نشبه ، لم يسرع به علمه ولا أدبه !

فما هو الميزان الصحيح لأقدار الرجال ؟

نقابة الأشراف :

ولولا أن الفضل عندنا بالنسب لما قامت قيامة جماعة منا ، إذ ألغت الحكومة نقابة الأشراف ، ولما نادوا بالويل والثبور

(١) نزره فانفزر ، فهو مفزور من أعرق الكلمات في العامية الشامية والمصرية وهي من الفصيح ، ومن استعمرى و . د عامية الشام أفصح اللهجات العامية

(١) النادل : صبي القهوة ؛ والحلوان : البقشيش

(٢) الشهرة لا تكون في الأصل إلا في القبيح .

وعظائم الأمور ، ولما زعموا أنه هدّ ركن الدين ، وهوت قبة الإسلام ، وأحدث الحدث الأكبر الذى لا يزيله إلا غسل صحيفة هذا القرار سبعاً إحداهنّ بالأشنان والتراب الأحمر ...

ولقد كانت نقابة الأشراف ملغاة فأعيدت من خمس سنين ، فما خسرنا بإلغائها شيئاً فى ديننا ولا فى دنيانا ، وما ربحنا بعودتها إلا ثمن عشرين ذراعاً من الحرير الأخضر اتخذها النقباء عمائم ، ولا شىء فوق هذا ولا تحته ...

وأنا أفهم أن يكون للمحامين نقيب لأن المحامين طبقة خاصة من لم يكن منها كان خارجاً عنها ، وللأطباء نقيب ، ولعمال الطباعة ، وسائقى السيارات .

أما الأشراف ... ؟ فهل تريدون أن تسيئوا إلى الإسلام كذباً وافتراء فتوهموا الأجانب أن الشرف عندنا بالنسب ؟ وأن من شعائر الدين أن يكون لأشرافكم هؤلاء ... نقيب ؟ وإذا كان الشىء يعرف بضده فهل يكون كل خارج عن هذه (النقابة ...) غير شريف ، أى رذيلاً ؟ وهل ترون أن نطالب نحن أيضاً الحكومة أن تعمل لنا نقابة أرذال ، أو إذا شئتموها على الوزن ... « نقابة أشرار » ؟

إنكم ستسبوننى ... الله يسامحكم ! بل قولوا لى من فضلكم :

كيف لم يدرك الصحابة والتابعون أن الشرف بالنسب ، وحسبوه (جهلا منهم) بالدين والعمامة والتقوى ؟ وكيف لبثوا فى الصدر الأول الذى هو خير القرون مئات من السنين بلا نقيب أشراف ولم تنقض عرى الإسلام ؟

كيف يا أيها السادة ؟ كيف ... بالله عليكم ؟ ؟ ألم يخطر على بالكم ذلك أبداً ؟ ؟

وظائف الإنشاء :

ودخل علىّ الطبيب ، وهو ابن عمى ولِدَتى[1] ورفيق فى مدرستى ، فرآنى أكتب . فقال : ما هذا ؟ أتجبر نفسك على الكتابة وأنت مريض ، أهى وظيفة إنشاء ؟ قبح الله وظائف الانشاء . قلت : ولم ؟ قال : لأنى ما أفلحت فيها قط ولا أحسنت كتابتها . قلت : ليس بعجيب وأنت طبيب أنك لم تكن تفلح فيها ، ولكن العجب بى أنا ، إذ لم آخذ فى الإنشاء ما دون الدرجة الوسطى ، ولم يكن معلم يعتقد أنى أصلح للكتابة ، وذلك أنهم كانوا يكلفوننا الكتابة فى موضوعات لا يُكتب فيها ، ولقد سئلنا مائة مرة هذا السؤال : (ماذا تحب أن تكون فى مستقبلك ؟) كأن الدنيا تمشى على ما أحب وما أكره ، وكانوا يقدرون الدرجة لا على حسن الكتابة بل على بعد المطمح . ولقد أبعدت فتمنيت أن أكون ملكاً وحاكماً بأمره وشيخ إسلام وقائداً فاتحاً وما شئت من بعيد الآمال فما أعجب المعلم شىء من ذلك ، ولا أعجبه أن أكون معلماً ولا شرطياً ولا تاجراً ولا لصاً .

وسئلنا عشرين مرة أن نكتب فى (وصف روضة) ، فكنت أكتب وصف بستان أعرفه ، فيه مزبلة وراء الباب وساقية ماؤها عكر ، وغربان تصيح على الأشجار ، فلا يرضى عنه لأنه يريد روضة ماؤها سلسبيل وحصباؤها درّ . وعلى دوحها المنادل والشحارير ، ومن أين أصل إلى هذه الروضة حتى أصفها ؟ وأعجب من هذا أنهم كانوا يكلفوننا إنشاء الحوار على ألسنة الحمير والقطط وأنواع البهائم ، وكيف لى بأن أفكر بعقل حمار حتى أتكلم بلسانه ، كما يفكر الأستاذ المحترم حين يصحح الأوراق ويميز صادقها من كاذبها !

وما كان المدرسون ينظرون إلى صورة بارعة أو معنى مبتدع ، إنما ينظرون إلى كلمة جاءت على غير الفصيح ، أو فعل عدّى بغير الحرف الذى يتعدى به ، هذا لأن المدرسين كانوا لا يفهمون إلا النحو والصرف واللغة ، أما اليوم فلم يبق ولا هذا ، مع الأسف ، لأن أكثر المدرسين تعلموا العربية فى باريز على أصمعى العصر الشيخ مارسيه ... والذين نجوا من هذه السّبة بعثوهم الآن ليتعلموا فى بلجيكا وسويسرا ، أى والله ، بل إن شيخاً مدرساً فى الجامع الأموى ، سيبعثونه ليتعلم علوم الدين فى لندن !

على أن الذين تعلموا من طلابنا فى الأزهر وجامعة مصر ، لم يكونوا أقوى ولا أحسن من أولئك ... وهذه كلمة حق قلتها ورزقى على الله !

قيمة الفلسفة والأدب :

ولعلّ المرض قد جعلنى متشائماً أرى كل شىء فى الدنيا أسود ... وكذلك الإنسان يصيبه صداع يحتاج إلى حبة (اسبرين) أو إمساك دواؤه شربة (زيت خروع) فتبدل نظرته إلى الحياة وآراؤه فيها ؛ فلو كان فيلسوفاً لكان متشائماً ، ولو كان شاعراً

(١) اللدة للرجل واللدات كالترب والأتراب للمرأة .

لكان شاعر أحزان ؛ ولو كان قصصياً لكان مؤلف مآسٍ وفواجع ..

أفتكون قيمة الفلسفة المتشائمة والأدب الباكي ، قيمة حبة أسبرين وشربة زيت خروع ؟!

ثمرات درس الأخلاق :

ونظرت من الشباك أتسلى ، وكان تحته كومة رمل أبيض وضعها جارنا ووكل رجلا وولده بنقلها إلى حديقته . فأقبل تلاميذ المدرسة ، فقال عفريت منهم : تعالوا نسرق من هذا الرمل ، فقالوا : إن الولد يرانا . قال : نعمل مثل الراعي الكذاب الذي قال لنا المعلم قصته ، حين نادى : الذئب الذئب ، فجاءوا فلم يروا شيئاً ، وضحك منهم ، فلما طرقه الذئب حقيقة ونادى لم يجبه أحد ، قالوا : وكيف نفعل ؟ قال العفريت : انظروا .

وأقبل كأنه يريد أن يسرق فنادى الولد أباه ، فترك عمله في الحديقة وأقبل ، فلم ير شيئاً ورأى التلاميذ يضحكون فرجع ، وجعل التلاميذ يأخذون من الرمل والولد ينادي فلا يرد أبوه ولا يصدقه ..

وكانت هذه ثمرة درس الأخلاق في المدرسة ! !

ألف جنيه مصري :

وتركت الشباك ، وأخذت جرائد عتيقة فجعلت أصفحها ، فوجدت في إحداها إعلانا عن جائزة قدرها ألف جنيه مصري لصاحب أحسن اقتراح يقدم إلى المجمع اللغوي لإصلاح الكتابة العربية ... فعجبت من هذه الخرافة التي لا تزال تتردد على الألسنة ، خرافة فساد الكتابة العربية وحاجتها إلى الإصلاح ، وكنا نُعظم أن نسمعها من بعض الكتاب المجددين المفسدين ، فانعكس الزمان حتى صرنا نسمعها من ألسنة من أقيموا حراسا للغة القرآن وتراث الجدود ، بل لقد سمعنا من كبير فيهم قاصمة الظهر التي أنكرناها على الأتراك ، وذاقوهم غصصها ، فلما أبتها هذه الأمة وأبى لها عقلها ودينها قبولها ، جاءوهم بها في ثوب جديد ، هو إصلاح الكتابة ، وأنا لا أدري والله أيجدّ هؤلاء القوم أم هم يريدون شيئا يعملونه ويتسلون به حتى لا يقال أنهم يجتمعون على غير شيء ، ويأخذون المرتبات في غير عمل ، فإن كانوا جادين فليعلموا أن كل تبديل في كتابتنا مهما قلّ يقطع صلتنا بماضينا ، ويجعل هذه الكتب بالنسبة للناشئ الجديد كأنها مكتوبة بالكوفي لا يفهمها إلا الخاصة . وهو كما يبدو أقصر طريق لإبادة كتب الدين واللغة ، والقضاء على المكتبة العربية حتى تصير من الآثار القديمة ، وتعود كأنها اللغة الأجنبية التي لا تفهم إلا بترجمة . ثم ما عيب كتابتنا ؟ مالها ؟ أنا أراها كاملة لا تحتاج إلى زيادة ، صحيحة لا يعوزها الإصلاح ، بل هي تفضل من جهات كثيرة كتابة الأمم الأخرى .

ومن قال لهؤلاء الناس المحترمين ، إننا أتباع لهم في كل ما يقررون ، نطيع أوامرهم ، ونمشي على آثارهم ، ونأتم بهم : نزكم إن كبروا ، ونرفع إن حمدوا ؛ كلا والله ، ولو أن مصر — لا سمح الله — قبلت بهذا ، ما قبلنا به نحن ، ولا أقررنا أي تبديل في كتابتنا ، لأننا نثلج بذلك صدور أعداء الله وأعداء العربية الذين لا يغيظهم منا إلا أننا نتمسك بماضينا وعلومنا ، فنتخذ منها دافعا إلى المعالي ، وعاصماً من التردي في هوّة الإلحاد والضياع .

ألا إن هذه الألف ، وهي تعدل تسعة آلاف ليرة سورية وزيادة ، ربح لمثلي عظيم ، وثروة ما ملكتها قط ، وإني أستطيع كما يستطيع كل واحد ، أن يحصر ذهنه ساعة فيتخيل لها نوعا من (الإصلاح ...) كما يتخيل إصلاح رجل من الرجال بتقصير أنفه ، وترقيق شفته ، وتطويل قامته ، ولكني لا أريد أن آخذ هذا المال حراما وقد جمع من أيدي الفقراء والمساكين ، وربما كان ثمن ألف فراش يبيع بالمزاد العلني ؛ أخذ من تحت المكلف لما عجز عن أداء الضريبة ... فإذا كان يزيد عن حاجتكم ولم يكن من إنفاقه بدّ فردّوه على هؤلاء الفقراء ، فما زلنا نسمع منكم ، وتقول جرائدكم ، إن في مصر المرض والفقر والجهل ، فهل داويتم هذا كله وأصلحتموه ولم يبق إلا إصلاح الكتابة ؟!

يا سادة ؛ إن الكتابة العربية التي صلحت خمسة عشر قرناً ، وكتب بها عشرة ملايين كتاب ، تصلح قرنا آخر لتكتبوا بها كل سنة خمسة آلاف كتاب ، منها كتب الكفر والتضليل والتقليد الأعور والسخف المضحك ككتاب « هذه هي الأغلال »!

فكفوا عنا ، اتركونا ... إننا راضون بما نحن عليه ، فأريحونا واستريحوا !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

فرنسا تبز العرب!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كل من شاهد الجريدة الفرنسية السينمائية التي عرضت في الأسبوع الماضي في بعض دور السينما في القاهرة، لاشك قد امتلأ قلبه بكثير من التقزز والإشمئزاز والسخط لمنظر من مناظرها. هو منظر هذه «القطع الآدمية» المشوهة التي جمعتها الدعاية الفرنسية ضد الجزائر والمغرب لتعرضها على عيون الناس في العالم كله كنموذج لبرها بعرب الجزائر! لقد جمعت قطعاً من الفقر والتشوه والعرى والجهومة والضياع لتؤكلهم ثريداً في عيد الأضحى..! واجتهدت أن تأخذ لهم صوراً من مقاطع تبرز صوراً فنية للفقر والشناعة! ولو عرضت علينا صوراً لمجموعة من الذباب أو الكلاب الضالة لارتاحت اليها العيون بعض راحة لم تجدها في منظر هؤلاء التعساء! وإن منظر العرايا من زنوج المجاهل العائشين وراء التاريخ، المنقطعين عن العالم لأجل كثيراً من مناظر هؤلاء الكرام الذين أضناهم البؤس وأشواهم الحكم الذل المرهق، وجعل على وجوههم سمات من العذاب والضيق؛ فإن الزنوج يتمتعون بالصحة الطبيعية والحرية الطبيعية والمجال الحر في مجاهلهم ومتقلباتهم الواسعة، أما أولئك العرب الذين كانوا مثال الرقة الأندلسية والنظافة الإسلامية والحرية العربية والذكاء اللامع والمشاركة الناجحة في الحضارة، فقد حولهم الحكم الفرنسي إلى مجموعة أشنع من مجاميع الذباب والكلاب الضالة. وإن الكلاب الضالة ربما لا تجد القوت الميسر ولا السهر على معالجها، ولكنها على كل حال تجد حرية العيش، أما هؤلاء فلا يجدون إلا قيوداً من التعس والذل والحرمان من مقومات الأجسام ومقومات الأرواح.

إنني لا أستطيع أن أفهم من عرض مثل هذه المناظر إلا اهتمام فرنسا بأن تبرهن للعالم على أن هؤلاء العرب الذين ابتلوا بحكمها منذ مائة وعشرين سنة قوم هم حثالة الناس وفي المستوى الأدنى من الحياة، فهم أبعد الناس عن منحهم حق تقرير المصير والحريات العامة، وأقرب الناس إلى فرض القسوة الفرنسية عليهم.

ولا أستطيع أن أفهم إصرار فرنسا على إفنائهم عن طريق الجهل والفقر والحرمان والتعس — مع أن فرنسا في زعمها أمة الرقة والجمال وتسجيل حقوق الإنسان — إلا أنها تضمر لتلك الكتلة العربية والإسلامية عداوة وحقداً موروثاً لأسباب تاريخية لا يجهلها أحد؛ فهي تثأر منهم وتنكل بهم وتحرمهم أبسط حقوق الإنسان وهو حق الحياة وحق التعلم وحق الصحة ...

إن عاراً على فرنسا أن تظل جامدة في أسلوب حكمها للمغرب العربي مع أن الإنجليز ابتدأوا يخففون وطأة حكمهم في الهند، درة تاجهم. وأصل بلاء العالم العربي بالاستعمار هو وقوعه على طريق الهند.

وإن من العار أيضاً عليها أن تعرض مثل هذه المناظر للذين ابتلوا بحكمها. لأنها هي المسئولة عما هم فيه من تخلف وحرمان ولو شاءت لرفعتهم واجتهدت في وصلهم بثقافة الإنسانية السائرة. والذين يملكون حظائر للحيوانات يجتهدون أن يعرضوا منها على عيون الناس للفخر بما تصل إليه من شبع وسمن وصحة وسعادة، ولو أنها تذهب بتلك الحيوانات أخيراً للذبح، أو تجز صوفها أو تأخذ لبنها أو تستخدمها في حرث الأرض وزرعها. فلماذا تعرض فرنسا مثل هذه المناظر التاعسة لهؤلاء الذين انحطت بهم عن مستوى الحيوان؟! ألا إنها شهادة مسجلة على فرنسا، سجلتها بيدها لتثير بذلك لعنات الأحرار وسخطهم عليها!.

لقد طالما ذكرنا فرنسا برسالتها الإنسانية التي هي تاج مجدها الحقيقي، والعنصر الباقي لفخرها على مدى الزمان، ولكن الذين في مصر من الفرنسيين وأصدقائهم يلوح لي أنهم لا يحركون ساكنا ولا يأبهون للتذكير، وقد أخذتهم سكرة الثقة بقوة فرنسا وغلبها على هؤلاء الضعفاء المبتلين بها.

ولكن لتعلم فرنسا أن الفجر الدولي قد سطع على أوكار الرجعية السياسية الجامدة التي تنقل جرائم الطغيان والجهالة إلى محيط العالم الواسع كله، فلم تعد العين الانسانية تطيق أن ترى مثل هذه المناظر التي تذكرها بأشنع صور القسوة الجاهلية، ولتعلم فرنسا أيضا أن مجدها قد أخذ في الأفول منذ أن تخلت عن رسالتها الانسانية، رسالة ثورتها، وأن سمعتها قد ساءت بواسطة

حكمها للمغرب العربي ذلك الحكم العنيف الظالم الذي يحرم المحكومين النور والصحة والنعم ثم يعرضهم على رءوس الاشهاد ليسمع بهم وليمن عليهم بأكلة تريد أ بينا أكل أكبادهم بالمرض ويطمس وجوههم بالفقر، وعقولهم بالجهل : ثم يشنع عليهم وينسب إليهم وإلى دينهم ونظام حياتهم ماهم فيه من شقاء .

وإن وجوه هؤلاء الأطفال الذين خصهم ذلك الشريط السينمائي بالتفاتة لها مغزاها في التشنيع على هيئة شعرهم وعيونهم كان من الممكن ، لو أرادت فرنسا ، أن تخرج منها وجوه علماء وأطباء ومحامين ومهندسين وقواد وغيرهم ، ولكن فرنسا أرادت أن تعطل قوى الحياة في هذه الأجسام لإفناء أمتهم وضم أرضها إلى أرض فرنسا ... ولكن الله العادل الرحيم المقتص من الظالمين قد أراد أن يفنى فرنسا ويحطم مجدها ويبلبل عقائدها ويضرب بعضها ببعض وقد دنس بنعال أعدائها حرمات أرضها قبل أن تفنى هؤلاء وتقضى عليهم القضاء الأخير الذي تتربصه منذ مائة وعشرين سنة . وسترى فرنسا أن هذه الأمة المغربية ستنهض وتشترك في تجديد رسالة العلم والحضارة الحقيقية .

وما في فرنسا من براكين الاختلاف كفيل بأن يدمر حياتها ووقوعها بين قوتي الشرق الروسي والغرب الانجلوأمريكان سيجعل أرضها مجالا لصراع المدمر الآتي لا محالة ؛ وبدلا من أنها كانت تجد في شمال إفريقية مجالا لشد أزرها لو أنها أحسنت صنعاً إلى المغاربة وحكمت قلوبهم بالحب ، ستجد في هذا المغرب إلباً عليها وقوة تشترك في هدمها . وقد فات أوان الظلام واختلف الحساب وانعكس عليها قصدها من إفناء المغاربة بعد سطوع الفجر الدولي .

وإن الذين يشهدون محافل المغاربة في مصر ليرى العزم المصمم والإيمان الراسخ والجهاد الحازم بالآلام في سبيل الحرية والحياة .

وإن قلوب المشارقة من العرب والمسلمين لتغلى غليان السخط والعداوة والاحتقار للحكم الفرنسي في شمال إفريقية كما رأت هذه النخبة الممتازة من شباب تونس والجزائر ومراكش الذين كان من حسن حظ العرب والمغرب عموما أنهم استطاعوا الإفلات من الأغلال الفرنسية ليلفتوا النظر إليها من الخارج متعاونين مع المشارقة . وأنهم لنماذج صالحة تثير الفرح بمستقبل المغرب إذا ما انزاح عنه النير الفرنسي ، وأنهم أيضاً ليثيرون السخط على فرنسا حينما نرى وجوههم الصبيحة وألسنتهم الفصيحة ونقارنها بما رأيناه مع هذه الوجوه المطموسة بسمات الحرمان وأمارات التنكال في هذا الشريط السينمائي الذي أرادته فرنسا دعاية لها فكان دعاية عليها .

وإننا لنحس إحساساً صادقاً أن المغرب العربي المبتلى بفرنسا يغلى غلياناً تفور له قلوب العرب في الشرق بالغضب والسخط على ذلك الحكم القاسي الذي يربط على الجناح الأيسر للعروبة بالحديد ويوقد عليه بالنار ويحبسه أن يخفق طليقا موازياً للجناح الأيمن لها حتى ينهض العرب معا .

فإذا كانت فرنسا لا تحسب حساباً لصداقة العرب وهم أمة كبيرة في البحر الأبيض على الأقل ولا تعاملهم بقانون الجوار والمصالح المشتبكة فإنها تبرهن بذلك على أنها لاتنظر إلا لحاضرها وانظر إلى أمة لا تنظر حاضرها ولا تسعى لمستقبلها بكسب صداقة سبعين مليوناً من الجيران الدائمين المتدينين الأوفياء الأشراف .

عبد المنعم خلاف

من نكبات الحزبية في تاريخنا

للأستـــاذ سعيد الأفغاني

ليس هذا خوضاً فى السياسة ، فأنا امرؤ ستاء ظنه فى محترفيها جميعاً ؛ وعلى أنى منذ خمسة وعشرين عاماً مولع بتتبع أحداثها فى الأقطار العربية وخاصة فى الشام ومصر ، شغف بمعشرة الخبيرين بخفاياها . . لم أخضها يوماً من الأيام كفاحاً وجهاً لوجه لا أنفة منها : ولكن أنفة من حال الخائضين فيها . وإذا سألتنى عن السر فى تضييع الفرص على الشعوب العربية وحرمانها من خير لم تقصر فى السهر عليه والجهاد له ، أجبتك : « إنه فى داء واحد فى الأقطار جميعاً هو : أخلاق القادة ! »

ارجع بصرك فى أحداث الثلاثين سنة الأخيرة ، فستجد أن قطراً من الأقطار لم ين عن جهاد صادق سنة من هذه السنين ، ولم يبخل على قضيته بنفس ولا نفيس . لقد بذل فى سبيل ربه ووطنه دماءه وأمواله بسخاء كان مضرب الأمثال ، ولكن المتصدين للقيادة بهم داء الكلب والتناحر وصغار النفس والتعلق بالسفاسف ، لا يخافون الله فى أمة طوحوا بها فى المهالك من أجل تمتع بمنصب أو جاه أو مال ، أو تلذذ بقهر منافس أو معارض ... غير خجلين من أن يمدوا أيديهم ضارعين إلى أجنبى وصلوا إلى زعاماتهم بمجاهرة أمتهم بعدائه ، وهو يتربص بهم يوماً كهذا اليوم تقودهم فيه ضعة نفوسهم إليه صاغرين ، فيضرب بهم مستقبل أمتهم ويضيع عليها ثمرات نضالها الطويل ، ثم ينبذهم من بعد ذلك إليها نبذ النواة ، فإما أن يكون الله كشف عن بصيرة الأمة فجعلتهم نكالا ، وإما أن يستغلوا (طيبتها) ثانية فيستأنفوا زعامة من جديد .

ولست أطمع فى صلاح نفوس الساسة اليوم ، فالله وحده هو الذى يحيى الأرض بعد موتها ، ولكنى قوى الأمل فى الأجيال الناشئة التى لم تشهد أيام الإذعان لسيطرة الاحتلال ، ولا عاينت لعب صبيانه بلحى كبارنا وساستنا ، وإنما شهدت كفاح هذه القوى الشريرة فنشأت على الإباء والنضال .

إنى لأغتنم فرصة احتفال (الرسالة) بالعام الهجرى الجديد ، فأضع تحت أبصارهم عبرة ماثلة لا تنسى أبداً عسى أن يذكروها كلما حاول من سبقوهم أن يجعلوا منهم وقوداً لفتنة تضرمها الأهواء والنزوات ، أو كلما نزغ بهم فى المستقبل نزغ يحيد بهم عن خير أمتهم إلى إرضاء أهوائهم ، فيذكروا هول الخلاف الذى صلينا جحيمه فى صدر دولتنا وما تزال حرارته الأثيمة فى كل نفس خيرة تدبرت عبر التاريخ .

إنى لا أخوض سياسة ، وإنما أطلع هذه النفوس المعسومة على عواقب أول خلاف سياسى فى الاسلام وما جر من ويلات متتابعات ، ناقلا إياه من كتاب انتهيت قريبا من عمله . وأنا أحب أن يحمل الناس بالهم أبداً — كلما قرأوا التاريخ — إلى عبره وتجاربه فيأخذوا من كل شىء أحسنه ، ويربأوا بأنفسهم وأمتهم أن يغامروا فى تجربة ثبت ضررها وفسادها وخاصة إذا كان الثمن الذى قدمناه فيها دماء عشرات الألوف من أبطالنا :

لقد كان أمر المسلمين الأولين عجباً من العجب : امتلأت نفوسهم بكل ما حباهم ربهم من خير فى الإسلام ، فأحسنوا فهمه وأحسنوا الإستجابة لرسوله نساء ورجالا . فوطدوا أركانه فى الجزيرة ، ثم انتقل رسول الله إلى جوار ربه واندفع هؤلاء المسلمون الأخيار فى أقطار الأرض يريدون إعلاء كلمة الحق وإنقاذ عباد الله من كل الأجناس والأديان : من شرور الظلم والجهل وامتهان الإنسان ؛ فحرر الله على أيديهم بلداناً وشعوبا كثيرة ، فأشركوا الناس كافة فى سعادتهم وعدلهم وأمنهم . ومن عرف أنهم كانوا قبل عشرين عاماً فقط يأكل بعضهم بعضاً ويعدو قويهم على ضعيفهم ، قبائل متعادية ، وطوائف يغزو بعضها بعضاً ... عرف نعمة الله عليهم وعلى الإنسانية بهذا التوحيد الذى ألف بين قلوب ما كانت لتتألف ؛ وأدرك المعجزة التى أتى بها الإسلام فى توحيدهم وخلقهم خلقاً جديداً جعل من سفكة الدماء أنبياء رحمة ورسل هداية وإسعاد للبشر .

لقد أتوا — وكلمتهم واحدة — بالعجائب فى حروب التحرير والفتح ثم البناء والتنظيم ، وكان منهم كل الخير لأنفسهم ولغيرهم فلما صبت الدنيا خيراتها وكنوزها بين أيديهم ، وتقادم ما كان جديداً من روعة الدين وعهد الرسول وصاحبيه ، وكان أمر الشورى المعلوم ، وكثرت فى هذه الإمبراطورية الواسعة المناصب

والولايات ... بدأت نوازع الطموح تتحرك في نفوس هؤلاء الأبرار فيكبتونها رهبة من الله . لكن عناصر الشر والغش والفساد من أهل النحل البائدة والأمم المغلوبة كانت أيقظ من أن تغفل عنهم وهي الخبيرة بمداخل الشر ومخارجه ، فما زالوا يفتلون لأولئك الطيبين في الذروة والغارب حتى استجاب بعضهم لأهواء نفوسهم من حيث لا يشعرون ، ودب دبيب الخلاف بينهم واشتغل بعض ببعض ، ووقفت الفتوح أيام علي رضي الله عنه حتى خيف على المسلمين من فلول الروم .

أرأيت مايفعل الخلاف في الدولة القوية الفتية المتماسكة المتينة الأساس ؟ .

إنه يطمع فيها حتى المغلوب المشرف على الدمار ، دع ما أريق في سبيله من دماء غالية بدأت بالخليفة الصابر الشهيد عثمان بن عفان رحمه الله ، ثم أرفدت بدماء عشرات الألوف . وهذا (يوم الجمل) وهو يوم واحد أسفر عن خمسة عشر ألف قتيل على أقل تقدير في بضع ساعات ، فلا تسل عما بعده من (يوم النهروان) و (يوم صفين) وغيرهما من تلك الأيام التي أعملنا فيها سلاحنا في أنفسنا فأوقعنا الوهن في دولتنا والتفرقة في صفوفنا والعداوة في قلوبنا ... وكان الله قد غسل هذه القلوب وجمع تلك الصفوف.

ولو أن هـذه القوى المتطاحنة يوم الجمل ويوم صفين ... اجتمعت على الخير فسارت إلى قوى الشر شرقاً وغرباً لأكلت الدنيا بقوتها ، ولأحالت العالم حينئذ جنة يتحدث بنعيمها وسعادة أهلها الركبان . لكن الله الذي أيد هذه الأمة أول أمرها قضى أن يكون بأسها بينها ، فامتلأ تاريخنا بالحروب الداخلية وتحول عن مجراه السعيد الذي كان جرى فيه لخير الإنسانية عامة ؛ قضاء من قضاء الله لاحيلة فيه . ولست أدري ما يكون حال دنيانا الآن لو أن العرب لم يفسدها الخلاف والتطاحن ولم تنزل بأسها بينها ؟

ولو ذهب باحث يحصي هذه الدماء المهراقة في سبيل الخلاف منذ قتل عثمان حتى اليوم ، في الشرق والمغرب والأندلس .. إذاً لأفزعته هذه الملايين منها ، ملايين لو بذلت في سبيل الحق لكان تاريخ العالم كله على غير ما نعرف ، ولكنا أهل الحضارة حتى الآن وإلى الأبد لا يلم بشمسنا أفول .

وقد خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته آثار الخلاف ، فسأل ربه - فيما سأل - أن يجنبهم إضراره ، إذ علم أن هـذه القوى الهائلة المتراصة التي عمرها إيمان لم تعرف الأرض له مثيلا كفيلة بفتح الأرض كلها لدعوة الخير والحق ، لاتقف لها قوة إلا أن تنشق هي على نفسها فرووا عنه أنه قال : سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة :

سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة (القحط) فأعطانيها .

وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها .

وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها . »[1]

ليقضي الله أمراً كان مفعولا .

« • »

انقضت الخلافة والخلاف بخيرها وشرها ، ولم يبق منها إلا هذا التاريخ بين أيدينا مملوءاً بالعبر : فلنتعظ به ، ولنحذر أي تفرقة بيننا بكل مانستطيع ، ولتكن تلك الدماء الذاهبة ضياعاً حافزة لنا على الوحدة وجمع الكلمة ، فلا نعيدن فاجعتها جذعة ، ولنهرب من كل خلاف وتفرقة هرب السليم من الأجرب فإنهما يبدآن صغيرين لا يؤبه لهما ثم يعظمان حتى يلتهما الأخضر واليابس .

وإن أعجب لشيء فلأولئك الذين مازالوا يجتمعون ويتفرقون متجادلين في هؤلاء الصحابة الأخيار : أيهم المؤمن وأيهم الكافر ؟ أيهم على الحق فيحمد وأيهم على الباطل فيـذم ؟ ويتقربون إلى الله في لعن رجال : ما منهم أحد إلا وله السوابق الحسان في نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله والدفاع عن رسوله ، وما فيهم إلا من بذل ماله ودمه ودم أهله للخير العام ، تخلفوا لنا بفضل إخلاصهم هذه البلاد الواحدة على تنائي أطرافها . إنها وحدة جامعة عجزت ضربات الدهر وسطوات الدول ثلاثة عشر قرناً عن أن تنال منها مايقضي عليها ويمحوها ؛ فما زال العراقي إذا هبط أقصى المغرب في مراكش لايحس بغربة عن أهل ولا وطن . أستغفر الله ، بل ما زال المسلم الصيني من أقصى الشرق إذا هبط ساحل بحر الظلمات تلقته القلوب بالبشر والترحاب لقد جمعهم الله بمحمد وصحبه على كلمة حق واحدة فلن يفرق أحد ماجمع الله بمحمد وصحبه .

(١) صحيح مسلم ٢ - ١٧١ (الاستانة سنة ١٣٣٣ هـ) وانظر مسند أحمد ١ - ١٧٥ .

لست بسبيل تعداد المآثر المشهورة لأولئك الأخيار الذين هم موضوع الخلاف كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة ... ، فأصغر أعمالهم عند الله يمحو كل ما يذكر خصومهم من أخطاء ، وقد ذهبوا إلى خالقهم الذي أرضوه بأعمالهم ورضي عنهم ، وسجل رضاه هذا في قرآنه الكريم يتلى ما بقي على الأرض إنسان .

فلنمحضهم جميعاً محبة واحدة ، ولنستغفر لهم ولأنفسنا ، ولنذكرهم بكل خير جزاء ما خلفوا لنا من وحدة قوية ، ودولة مثالية بنوها بجهادهم في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، جهاداً أرخصوا فيه مهجهم وضحوا بأعز ما يملكون ؛ ولنطرح عن عواتقنا مخلفات عصور الانحطاط والشعوبيات ، ولنقتد بهؤلاء الأخيار أنفسهم حين يعرض بعض لذكر بعض ، فقد نزع الله ما في صدورهم من غل وعادوا إخوانا متحابين كما أمرهم الله أن يكونوا .

وإن الله عز وجل لم يتعبد أحداً بشتم صحابي ولا لعنه ، بل عظم من شأنهم وغفر لهم ما أخطأوا قبل أن يخطئوا ، ولولاهم لكان العرب اليوم في وثنية أو جاهلية ؛ فما هذا جزاء من أنقذنا به من الضلال والفرقة وخلف لنا ملكا سعيداً وماضياً مجيداً وتاريخاً حافلا بكل ما يرفع الرأس ويخلد أحسن الذكر وأطيب الثناء ...

* * *

نزقت السياسات قديما أمر المسلمين وشتتت شملهم ، ثم عززها أهل الكيد والدس بغشهم حتى جعلوها تتغلغل في الأديان والعقائد ، وصار الدين الواحد أديانا والأمة الواحدة طوائف شتى وما الأمر كله بالذي يستدعي بعض ذلك ، فلنأخذه بالتوسعة والتسامح ، ولكل رأيه في السياسة وفهمه للتاريخ فلا يضيقن أحد بفهم أخيه ، ولا نجعلن خلاف الرأي في السياسات الماضية (والحاضرة) والحزبيات البائدة (والحاضرة) مفرقا وحدتنا وسادعا شملنا ومخمداً نارنا ، ولا نجعلن هذه الأحقاد والمداوات تتوارث إلى يوم الدين .

إن الأمم من حولنا كالجياع على القصاع ، فلن يجدينا في موقفنا اليوم ذلك الجدل ولا تلك الفرقة ، بخويصة أنفسنا ما يشغلنا عن هذا الباطل ، وفي مطالب الحياة الجادة ما يلفتنا عن التفرق ... فلنقابلها صفا واحداً وأمة واحدة كما بدأنا الله ، ولننبذ عصور الظلام وآثار الجهل وضيق الأفق بمخلفاتها جميعا .

إن ربنا واحد وكتابنا واحد ورسولنا واحد ، فلنعد أمة كما أراد الله لنا ولنبرأ من كل فتنة وخلاف وفرقة . فالظروف عصيبة ونحن على مفترق الطرق ، وإننا لمحاطون بالأعداء داخلا وخارجا ، وهم دائبون على توسيع الشقة بيننا ؛ فلا نعينهم على أنفسنا ، ولا نضمن في أيديهم السلاح الذي يقتلنا ويجعلنا لهم طعمة سائغة .

* * *

ليت الله إذ جمع على الهدى أمرنا لم يجعل للفرقة إلينا سبيلا ، ولا جعل بأسنا بيننا ، وليت هذه السابقة التي هونت على الأمة الواحدة أن يقاتل بعضها بعضاً لم تكن قط .

فليت الظامئة في بيتها وليتك (عسكر) لم ترتحل[1]

ثم ليتنا بعد هذا كله نعتبر بما في الخلاف من ضرر بالغ في كبير أمرنا وصغيره[2] !

سعيد الأفغاني

(١) عسكر اسم الجمل الذي ركبته السيدة عائشة على رأس جموعها في أول فتنة قسمت العرب في الإسلام صفين متعادين .

(٢) الفصل الأخير (عبرة الحوادث) من كتابنا (عائشة والسياسة) وسيطبع قريباً إن شاء الله .

إلى وزارة المعارف :

وعلى هذا فنحن ندور . . .

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ٣ —

والظاهرة التى تتجلى فى وزارة المعارف بوضوح وقوة ، أنها لا تنظر إلى الدراسات التى تجد فى مصر نظرة المستفيد ، فقد قامت فى مصر ثورة قوية على البلاغة ودراساتها العتيقة ؛ حمل لواءها أول الأمر الدكتور طه حسين ثم الأستاذ أحمد أمين ، ورسما للنقد الأدبى منهجاً إن لم يكن واضحاً كل الوضوح ، فهو — على أية حال — يصح أن يتخذ بذرة لطرق الدراسة التى تصحح الذوق وتقوم الأديب . ورسم الأستاذ الزيات رسماً صحيحاً لطريقة تناول الدراسات الأدبية ، ولو أنه لم يعرض للناحية المنهجية ، ولكن وزارة المعارف لم تعبأ بهذه الصيحات ، وكأنها لا تعنيها هذه الثورة على تلك الدراسات القديمة العقيمة ، فليبق تلاميذ المدارس حيث هم — يتلون سورة الاستعارة التصريحية ، والكنية ، ويخرجون المجاز المرسل والعقلى ، دون أن يصححوا ذوقاً ، أو يفهموا نقداً . وآية أخرى على غفلة الوزارة عن الدراسات العلمية أن الأستاذ ابراهيم مصطفى كتب كتابه « إحياء النحو » وفيه ثورة قوية على العوامل ، وتيسير كبير على الدارسين ، ولكن الوزارة مضت على غلوائها سادرة لا تلتفت ولا تنظر ، ولا تقف لإهابة مهيب ، ولا تصيخ لصوت داع !.

وها هو ذا المجمع اللغوى يعزم عزمته لتيسير الكتابة ، وتسهيل القراءة ، ويجمع اللجان ويناقش الآراء ثم يكتب فى ذلك الكتب واسعة البسط ، وتلقى المحاضرات طويلة الذيل ، وتفحص الآراء فى المجلات الأدبية والصحف السيارة ، ووزارة المعارف مغمضة العين ، سائرة فى طريقها المعهودة ولو كانت ممتلئة بالأشواك والوحول .

ذكرت ذلك كله عند ما أمسكت بكتاب المطالعة المقرر على آخر سنة فى المرحلة الابتدائية فوجدته كله مضبوطاً ضبطاً تاماً ، على زعم أن فى هذا تسهيلا للقراءة ، وإفادة للقارىء ولكن المعن لا يجد فيه من هذا التسهيل شيئاً ، وأكاد أزعم أن فيه إرباكا له وتشويشاً عليه ، ولو أن الكاتب — سهل الله له — ضبط ما هو بحاجة إلى الضبط ، ولم يعن نفسه بالضبط التام ، لكان فى ذلك الخير كل الخير . خذ مثلا جملة : « حضارة قدماء المصريين » تجد أن الذى يحتاج إلى ضبط هو (تاء) حضارة (همزة) قدماء ، (ميم) المصريين ، وليس وراء ذلك مايدعو إلى تمنية الكاتب والطابع بضبط ما . شقاء للكاتب ، نقول : إنه هين ؛ وعناء للطابع قد نقول : إنه محتمل ، ولكن — لسوء الحظ — نجد فى هذا الإمعان فى الضبط مساءة إلى القارىء نفسه ، ومشغلة له عن القراءة ، فهو لا يستطيع أن يتابع الحروف والضبوط ، والمعانى فى وقت معاً .

ولو أن للوزارة عيناً ترى وأذناً تعى ، لفقهت ما قاله الأستاذ الجارم بك ، فى تقريره بشأن الضبط فهو يقرر أن القارىء للكلام التام الضبط « يقطع أوصال العبارات ، لأنه مشغول بتحديد البصر ، وإعمال الفكر ، تحسساً لضبط ما يقرأ قبل أن يقرأ حتى يستطيع أن يقرأ » .

ولو عنيت بأبنائها لرحمتهم من تلك حال ، حال المطالعة فى كتابها المضبوط التى يقول فيها عبد العزيز باشا فهمى : « فتراه كالمجذوب المتوجد ، أو المكروب المتجلد ، جاحظ العينين تارة ، أخزرهما أو أخوصهما تارة أخرى ، مضروب اللسان باللعثمة أو التمتمة أو الفأفأة أو غيرها من ضروب الارتتاج » .

أفلا يجدر بنا — بعد — أن نقتصر على الضرورى فى الضبط ، حتى نخلص بالتلميذ إلى قراءة غير المضبوط ولقد جربت أن أقرىء التلاميذ فى بعض الجرائد بعد ضبط ماتلجىء الضرورة إلى ضبطه فكنت أجدهم فى القراءة أسرع ، وعلى الفهم أقدر ، إذ لا يعتور ألسنتهم تلك العقل العاقلة التى تحبسها وتلويها وتحول بينها وبين الانطلاق والإسراع .

وإذن ، فما كان أجدر أن يشتمل كتاب المطالعة على موضوعات قصيرة يسيرة خالية من الشكل مهلة حتى يمكن التلميذ أداؤها فى ثقة واطمئنان ، وتكون محكا لاستفادته فى قواعد اللغة ، ولمتحاناً لقدرته على ضبط أواخر الكلمات ومتونها .

فاذا جاوزنا الضبط ، وذهبنا نفتش موضوعات الكتاب وجدناها شكولا وأنماطاً ، مجموعة من كل ماتباعد وتناءى وازور ووجدنا الرابط بينها هو التنافر والتناكر ، فكتة المكرمة ، تجاور الموز وفائدته ، وسياسة الرعية تتاخم الورق ، وقناة السويس تصاحب الحية والأخوان ، والإمام على يرافق البريد فى مصر . فهذا الخلط الذى لا يرعى للقربى ذماماً ، محال من المحال أن يكون هذا الترابط الذى ننشده وتنشده المعلومات لتتداعى وتتماسك ، وأيا ما كان فالكتاب من حيث موضوعاته يعتبر ثورة قوية ناجحة على طريقة المشروع التى ترمى إلى تأليف المعلومات واجتذاب بعضها إلى بعض ! ولو أن ثمت لفتة يسيرة لأمكن أن يقوم الكتاب على وحدات متناسقة متآخذة ، فاذا جئنا بموضوع مثل مصر ، جاز أن نضم إليه : نهر النيل — قناة السويس — حضارة قدماء المصريين — مصر فى عصر فاروق — واجب المصرى — مصطفى كامل — سعد زغلول . الخ فنكون بذلك وحدة وثيقة خالية من التكرير المربك بعيدة عن التشتيت المزرى .

وأشنع من هذا وأبشع أن الكتاب — الذى يعاد طبعه كل عام — قد خلا من كل ما يتصل بالاحداث الجديدة التى شهدها التلاميذ وسرت فى عروقهم ، واستشرفوا للقراءة عنها والحديث فيها — كالحرب الأخيرة ، وغلاء الأسعار ، وجشع التجار ، واختراع القنبلة الذرية ، ولؤم الاستعمار ، وخطر الصهيونية ، ونكبة فلسطين ، فكل هذا يشوق التلميذ مطالعته وحرام أن نقتل هذا الشوق فى نفس التلميذ ونرميه بموضوعات جامدة صالحة لكل زمان ومكان لا تتغير بتغير الأحداث .

ومن المضحك المبكى أن تقرأ فى القطعة الثانية من الكتاب فتجده ، يتمدح بالمعاهدة معاهدة سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ، وقد طواها الزمن فيما طوى ، وأطفأ لمانها ، وأسقط شهابها ، وبرىء منها أهلها ، ونادت مصر كلها بسقوطها ، وطالبت بإلغائها ، ويتمجد بدخول مصر فى عصبة الأمم ، وقد أصبحت العصبة اليوم فى ذمة التاريخ ، وذهبت غير مذكورة ولا مشكورة .

ومما ينبغى الالتفات اليه بعين يقظى أن المدرسين يعمدون إلى كتاب المطالعة فيختارون منه قطعا شعرية يحفظها التلاميذ ، وقد خبرت هذه القطع فوجدت كثيراً منها خالياً من الروح الشعرية والجمال الفنى ، ميتا مدرجا فى كفن بال ، وما يصح قط أن يكون من محفوظات ذلك العصر الذى يعج عجاجه بالممتع الرائع من الشعر الحديث المتصل بالأحداث القائمة أو القريبة العهد . خذ مثلا قصيدة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فى الحث على السفر :

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب ... من راحة ، فدع الأوطان واغترب

سافر ، تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب ، فإن لذيذ العيش فى النصب

ابحث عن الروح الشعرية الجميلة بين هذا الرصف المرصوف فلن تجد لها أثراً ، بل لن تجد مزية له على الكلام المبتذل ، إلا مزية النظم ، وهى أهون المزايا . حكم ، وإن أردت التجديد فقل : نصائح ، لا قيمة لها فى وزن التلميذ ، وأكاد أكتب : لا قيمة لها فى نفسها . فهل يمثل : سافر تجد عوضاً ، يلتذ التلميذ ، ويجد النشوة والسرور ؟ وهل يمثل : فانصب فإن لذيذ العيش فى النصب يستفيد فكرة أو عبارة طريفة ؟ اللهم لا .

ثم ابحث معى عن كلمة واحدة شعرية فى البيتين فلن تجد ، وما أكثر ما تجد هذه الطرافة والجدة فى قصيدة مثل « العصفور الصغير » للأسمر ، و « أنا ... » لإيليا أبى ماضى وغيرهما مما يهز قلب التلميذ ، ويثير عواطفه ، ويفتح عينه وقلبه للحياة فتحا .

ولست أزعم أن ذلك خاص بالشعر الحديث فالقديم تغنى حافل فى رثاء « السلكة » « للسليك » وفى غزل « المنخل اليشكرى » وفى تهكمات « ابن الرومى » جمال وإمتاع وشاعرية نابضة قوية ممتنعة على عقول العلماء الذين يقتسرون الشعر اقتسارا ، ويمنفون عليه بقوة اللغة ، ولا يقودونه بنبض العاطفة ، وسلامة الطبع ، وقوة الشاعرية !

ومما يؤسف أن يخصص للمطالعة حصتان قصيرتان لا تقرئان ولا تفيدان ، والمطالعة ، مادة العربية ، تستغل فى الثقافة فلابد من المعنى ، وفى الإملاء فلا بد من تكرير النظر إلى الكلمات الصعبة وفى الإنشاء فلا بد من استمداد الجميل من العبارات ، وإدخاله مدخلا كريما فى مناسبات جديدة ؛ وهيهات أن تتسع الحصتان لذلك كله .

علوم البلاغة في الجامعة

للأســــتاذ على العمارى

— ٦ —

قلت فيما سبق إن رجال الجامعة لم يصنعوا شيئاً فى تجديد البلاغة العربية ؛ غير أن ملأوا غرف الدراسة ، وأذهان الطلاب بالطعن على المتقدمين ، والتنويه بقصورهم وتقصيرهم ، فلننظر فيما بين أيدينا من كتب لنرى مصداق ذلك . فى سنة ١٩٣١ ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى محاضرة فى الجمعية الجغرافية الملكية وسماها « بحثا تاريخيا تجديديا » تحدث فيها عن صلة الفلسفة بالبلاغة العربية ، وتكلم طويلا عن نشأة البلاغة وتطورها والمدارس التى احتضنتها ، ثم تحدث عن الدراسة فى كلية الآداب ودعا إلى تجديد البلاغة تجديداً شاملا وكان مما قاله « وهى — يعنى الكلية — فى إخلاص المجدد المستنير بالتاريخ تستطيع أن تختط طريق الدرس الفنى وتجعله واضح المعالم مغايراً لطريق البلاغة التى سميناها البلاغة العلمية ، كما عزمت على أن تتلافى ما كان من أثر الفلسفة فى تجدد البلاغة وقصور بحثها ، لأن إلزامها حدود دراسة الجملة قد حرمها من أبحاث ضرورية للفن الأدبى ، أبحاث نراها فى بلاغات اللغات الحية ويجب أن تتناولها بالدرس ، ومن تلك الأبحاث البحث فى الأسلوب واختلافه وأوجه تفاوته ، ومزايا أنواعه المختلفة ، ومن ذلك البحث فيما وراء المعنى الجزئى — تشبيه ، استعارة — كناية — من معنى كلى وغرض يقصد إليه الأديب ... الخ»

أبحاث كثيرة يدعو الأستاذ إلى تناولها بالدرس ، وبذلك يجدد البلاغة العربية .

ظفر فى فم الأمانى حلو ليت منه لنا قلامة ظفر

وتمضى خمسة عشر عاما كان يمكن أن ترى فيها أثرا لهذه الدعوة ، ولكنا نفاجأ فى سنة ١٩٤٦ بكتاب للشيخ أمين يسميه « فن القول » ويقول فى الصفحة الرابعة منه « إنى أحس إحساسا قويا عنيفا بحاجة حياتنا الأدبية واللغوية إلى دراسات كثيرة واسعة لم نقم بها ، ولا عيأنا السبيل لإتمامها ؛ ولو استطعنا أن نعرف بها ونقنع بضرورتها ؛ وندفع إليها ونقوم بمحاولات أولية فيها لنخلق الجيل الذى يقوم بها ويتمها فذلك خير ما نسدى لعصرنا ، وجل ما نؤدى به واجبنا . ولن أظن لحظة أننا قد أوفينا فى ذلك على الأمل المرجو ، والمثل المنشود أبدا ؛ لأن الميدان خال بل مقفر . وسترى فى البلاغة التى نزاول درسها هنا مثلا لذلك بينا » وإذن فالشيخ أمين لم يصنع شيئا فى هذه المدة الطويلة ، ولم يصنع غيره كذلك لأن الميدان « خال بل مقفر » فهل يكون هذا الكتاب الذى يخرجه هو العمل المرجو فى تجديد البلاغة ؟ هذه محاضرات ألقاها فى معهد الدراسات العليا ، وقد وصلنى منها ١٢٠ صفحة ، وباقيها فى المطبعة كما أظن ؛ وكان من حق الشيخ علينا أن ننتظر حتى يتم طبع المحاضرات ؛ ولكنا نقول هنا كلمة ولا يزال الباب مفتوحا ، مائة وعشرون صفحة هى مقدمة لعمل تجديدى فى البلاغة ، فماذا تناول فيها ؟ تحدث فى أربع عشرة صفحة عن التفسير الحيوى والاجتماعى لفكرة إنشاء المعهد ، ثم التفت إلى ما كان نشره من محاضرات ومقالات فأعاد نشرها بشىء من البسط والإسهاب ، فتكلم عن نشأة البلاغة وعن منهج دراستها عندنا وعند غيرنا ، وتحدث عن اللغة العامية واللغة الفصحى ومشكلات اللغة الفصحى كل ذلك فى هذا العدد الضخم من الصفحات اعتبره مقدمة لكتابه . أليس ذلك حسنا ؟ لقد ذكروا أن أحد الرجاز أتى نصر بن سيار والى خراسان ومدحه بأرجوزة تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات ، فقال نصر : والله ما تركت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا إلا وقد شغلته عن مديحى بتشبيبك . وأنا أرجو

فهذا كتاب المطالعة يا قوم ، لا عون فيه على القراءة ، ولا انسجام بين موضوعاته ولا تناول لطريف الأحداث ؛ ولا حسن اختيار لقطع الشعر ، فماذا بقى ؟

لا تبكوا على التلاميذ إذ يكبون فى الامتحان ، لا تصرخوا ولا تستصرخوا ...

أيها القوم ... السم فى الدواء ! !

كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

الا يكون كتاب « فن القول » كهذه الأجوزة .

لكن جزءا من دعوة الشيخ أمين قد تحقق ، فقد أخرج الأستاذ أحمد الشايب كتاب « الأسلوب » وتكلم فيه عن كل المباحث التي دعا الشيخ إلى تناولها ، فهل هذا الكتاب عمل تجديدي ؟ لننظر . والذي نراه أن الأستاذ الشايب عمد إلى جهات ثلاث فاختطف منها كتابه .

(١) ترسم خطى أرسطو في خطابته ، فقد تحدث هذا عن الأسلوب وقيمته ووضوحه وصفاته الخاصة ، والشروط العامة للأسلوب ، وفتور الأسلوب وسلامته وشروط ذلك ، وشرح ثراء الاسلوب وبسطته ووسائط ذلك ، كما بين الأسلوب الكتابي والأسلوب الخطابي والأسلوب الشعري والأسلوب النثري وتحدث عن اختلاف الأسلوب باختلافات الموضوعات وغير ذلك .

(٢) سطا على أبحاث المتقدمين من أمثال عبد القاهر والجاحظ وقدامة وابن رشيق والآمدي وصاحب المثل السائر والقلقشندي فاختطفها اختطافا ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتبه العمدة عن فنون الشعر ، وما كتبه قدامة في نعت الوصف ونعت الهجاء ونعت الرثاء ونعت المديح ونعت التشبيه ، ثم تقرأ كلام الأستاذ الشايب فسوف تعتقد معي أن المسألة كما يقولون « حذو القذة بالقذة » .

وأما عبد القاهر فأمره معروف فقد كتب كتابا خاصا في النظم الذي يسميه الأستاذ « الأسلوب » قال « للخفة والشيوع » والجاحظ كتب عن صحة المعاني وفسادها ومناسبتها للألفاظ ، وحسبنا هنا الإشارة .

(٣) الغربيون — كما يقول الشيخ أمين — يعنون في البلاغة بدراسة الأسلوب ، ويقول غير مرة إن هذه الأبحاث التي يدعو إليها — وهي قوام كتاب الأستاذ الشايب — مما عنى به الغربيون عناية تامة ، ويخص بالذكر كتاب الأسلوب الإيطالي lo stilela Italiano للباريني .

ولا نستبعد — بل إننا لنوقن — أن الأستاذ الشايب نظر طويلا في البلاغة الغربية وأخذ عنها ، وإذن فهل لنا أن نقول كما قال بعض النقاد الظرفاء : « لو قيل لكل معنى في شعر حميد بن ثور ارجع إلى صاحبك لما بقي في يده شيء » .

وأعتقد أنا لو حذفنا منه هذه الأبحاث القديمة العربية لبقي الكتاب أبيض منسولا . على أنه فوق ذلك كتاب وصفي وعمل البلاغة إنما هو وضع القوانين التي إذا ترسمها الأديب استطاع أن ينشئ ، وهذا الكتاب في أكثر مباحثه أشد صلة بأدب اللغة منه بالبلاغة ، وإن ذكر مؤلفه أنه وضعه في البلاغة ، وقدم له بأبحاث فيها .

ومهما يكن من شيء فلا زلنا عند رأينا من أن الجامعيين تركوا البلاغة العربية كما كانت على عهد السكاكي ، وإذا كانوا صنعوا فإنهم لم يزيدوا على أن رجعوا إلى كتب البلاغة قبل السكاكي ، وكتب النقد الأدبي فاغترفوا منها ، وهذا عمل يشاركهم فيه كثير من أبناء دار العلوم ومن أبناء كلية اللغة العربية بالأزهر ، فأين هو التجديد يا رئيس الأمناء ؟!

علي العماري

المدرس بمعهد القاهرة الثانوي

العلاقة بين بغداد والقاهرة
في عهـــد الفواطم

للأستاذ عبد المنعم ماجد

لم تكن هناك فروق تميز أهل البيت من بنى العباس وبنى علىّ ، حتى وقت قيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبى سفيان الذى جمع فى يده سلطة قوية وحوّل الخلافة من بساطتها وديمقراطيتها إلى نوع من الأرستقراطية المتحجرة المتعصبة ، لذلك أطلق العلويون على أنفسهم لقب الشيعة وعُرف أعداؤهم باسم بنى أمية . أما إسم أهل السنة فلم يكن له وجود ولم يظهر إلا بعد قيام الدولة العباسية . وبالرغم من أن العباسيين لم يكونوا قد طالبوا بالخلافة لأنفسهم أيام الخلفاء الراشدين إلا أنه أثناء قيام الدولة الأموية فى أواخر عهدها التجأوا إلى الدعوة للرضا من آل محمد ، أى من يقع عليه اختيار آل البيت يصير هو الخليفة . وقد وجدت هذه الدعوة آذاناً صاغية وقبولاً من الشيعة ، وذلك لأنهم كانوا يأملون أن تؤول الدعوة إلى بنى علىّ ، وذلك لأن علياً كان أفضل من العباس باعتراف معظم أهل البيت لأنه زوج بنت رسول الله ولسيرته وسبقه فى الاسلام . أما العباس فلم تكن له سابقة ولا سيرة ... ثم بجانب هذا لم يكن العباس ولا ابنه عبد الله قد طالبوا بالخلافة ... ولكن لما نجحت الدعوة التى بشر بها أبو مسلم الخراسانى فى خراسان ، وانتهت بقلب الخلافة الأموية والإجهاز عليها فى موقعة الزاب حوّلوا الخلافة لأنفسهم وأقصوا الشيعة عنها وادعوا أن العم أحق بالخلافة من ابن العم ، ولذلك كانوا يرون أى فتق يجىء من غير ناحية العلويين سهل الرتق . أما هؤلاء أبناء علىّ فهم الخصم الألد الذى يخاف جانبه ويُخشى بأسه ، ولذلك طاردوهم وشردوهم ، وضيقوا عليهم الخناق .

إزاء هذا التعنت الذى ضاقوا به ذرعاً أخذ العلويون من أبناء فاطمة يدعون لأنفسهم سراً ؛ ليستردوا هذا الحق المغصوب ويقضوا على هؤلاء الذين أقصوهم عن حقهم الشرعى فى الخلافة ، فلما ضاقت بهم وبدعوتهم أرض المشرق اتجهوا للمغرب حيث كان مركز الخلافة ضعيفاً ، ونجحوا فى تأسيس دولة هناك ، وكان هذا مبدأ الاحتكاك الفعلى بينهم وبين العباسيين ، وأول ضربة توجه للخلافة العباسية فى جزء من أملاكها فى أفريقيا من أبناء فاطمة بالذات . . ولن تكون الضربة الأخيرة ... ! ! لأن غرضهم الأساسى كان القضاء على الخلافة العباسية التى اغتصبت ملكهم وشردتهم وطاردتهم . هذا فضلا عن رغبتهم فى نشر دعوتهم ونظرياتهم فى الدين . لذلك شهر المعز لدين الله الفاطمى سيفه فى وجه العباسيين ، وطعن الخلافة فى مصر والشام والحجاز واليمن ، ومنع الناس فى هـذه الأرجاء لبس السواد شعار العباسيين ، وخطب له ولخلفائه على المنابر ، وارتفع صوت المؤذن منادياً : « حىّ على خير العمل » ، وهو آذان خاص بالفاطميين كما ظهر بطبيعة الحال كفاح وتنافس وحزازات بين الدولتين شأن كل قوتين تعتقد كل منهما أنها أحق بالخلافة والسلطان دون الأخرى . وسنلخص العلاقة بين هاتين القوتين المتزاحمتين فى ثلاث مراحل :

الأولى — تبدأ حيث عاصرت فيها الدولة الفاطمية عظماء بنى بويه وهم المتربعون فى الحكم فى بغداد والمتغلبون على الخلافة العباسية فيها .

الثانية — التى عاصرت فيهـا الدولة الفاطمية البويهيين إبان ضعفهم .

الثالثـة — التى عاصرت فيهـا الدولة الفاطمية الدولة السلجوقية التى انتزعت الحكم من الدولة البويهية .

الفترة الأولى :

تبدأ من سنة ٢٥٨ هـ وهى السنة التى دخل فيها الفواطم مصر إلى سنة ٣٧٢ هـ أى إلى موت عضد الدولة البويهى آخر عظماء البويهيين .. استولى الفاطميون على مصر والشام ومست حدود الدولة الفاطمية أملاك العباسيين التى كانت آنذاك تحت رحمة البويهيين وهم الذين ملكوا زمام الدولة وصارت بيدهم

مقاليد الأمور منذ سنة ٣٣٤ هـ أو سنة ٩٤٥ م فاسمهم يقرن باسم الخليفة العباسي في خطب المساجد ، وتضرب الدفوف أمام القصر الملكي البويهي في الضُّحى والعشي ، وهذا تكريم لم يكن يحظى به غير الخليفة من قبل ، والبويهيون متشيعون كالفاطميين بل من الشيعة الغالية التي لا تعترف بالخلافة العباسية رغم سيطرتها عليها . بل وتعتبرها مغتصبة من العلويين الذين هم أحق بها في نظرهم ، ولذلك في مناسبات عدة يعملون دائماً على إذلال الخليفة العباسي وإشعاره ببطلان خلافته ؛ فمثلا الخليفة القاهر عُزل والمستكفي سُمل والطائع أُهين ، والمطيع عزل حتى قال ت . و . أرنولد في كتابه الخلافة :

" The lowest depths of degration that the Caliphate of Bayhded had ever reached "

ومعنى هذا أن الفواطم حينما امتد ملكهم شرقاً وجدوا تشيعاً في بغداد ، ومركز الخلافة والأراضي الخاضعة لها في العراق والمشرق ، وأن صاحب هذا التشيع هو صاحب الأمر والنهي ، وكان هذا بطبيعة الحال من شأنه أن يقرب بين الفواطم في مصر والمسيطرين على بغداد أصحاب الأمر والنهي ، وأن يوجد نوعاً من العلاقات الحسنة بينهما ، وإن كانت العلاقة الطيبة تظهر من ناحية البويهيين أكثر جلاء من ظهورها من ناحية الفواطم ، وكان هذا طبيعياً لأن الخليفة الفاطمي كان يُعد في نظرهم إمامهم والرمز الروحي لهم ، وهو من الشيعة الظاهرة التي يدينون بنحلتهم لها . نلمس هذه الروح والميل الصريح نحو الفواطم مما حاوله معز الدولة البويهي بالكشف عما في قلبه بالبيعة للخليفة الفاطمي لولا أن أشار عليه أصحاب النظرة البعيدة من أتباعه بترك هذا الأمر خوفاً على سلطانه وسلطانهم ، ونفوذه ونفوذهم(١) فالخوف هو الحائل الوحيد في سبيل إعلان الفاطميين أئمة عليهم ؛ ومع ذلك فالخضوع الروحي للفواطم كان يملؤه الملأ في كل مكان وتحت سمع الخلافة السنية وبصرها ؛ فمبدأ الاحتفاظ بسطوتهم في بغداد لا يتنافى أبداً مع إظهار ولائهم للفاطميين ، ولعل العلاقة الرسمية لم تكن من القوة والصفاء مثلما كانت في عهد عضد الدولة البويهي . وقد احتفظ لنا أبو المحاسن(٢) برسالة من العزيز الفاطمي رداً على رسالة عضد الدولة فيها يشكره على ولائه وخضوعه ، وقد انتهز عضد الدولة هذه الفرصة ووصول مندوب العزيز بهذا المكتوب ليُذل الخلافة السُّنية فأمر الطيع وهو الخليفة السني آنذاك بالخروج لاستقباله . بل تمادى عضد الدولة وقرأ الرسالة مع ما تحمله من خضوع سافر وولاء ظاهر للفواطم في حضرته حتى دهش أبو المحاسن وتعجب ، وإن كان ليس هناك ما يدعو للعجب لاجتماع البويهيين والفواطم في رمز واحد وإمام واحد هو « عليّ » . ويجمل بنا أن نعرض بعض ما جاء في هذه الرسالة ففيها « ... إن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين .. ثم ذكر كلاماً طويلا في المعنى » . أما بقية الكتاب فيستدل منها على أن العلاقة لم تقف عند تبادل عبارات المودة والصداقة بل تعدتها إلى تبادل الرأي والمشورة فيما يحيط بهما في العالم الإسلامي من خطر خارجي .

هذه هي مظاهر العلاقة الرسمية بين بغداد والقاهرة .. وهناك مظاهر أخرى لها تتمثل في اشتراك أهل مصر من الشيعة وبغداد في بعض الأعياد الدينية مثل النوح في أيام عاشوراء ، وهذه الظاهرة استمرت منذ أن استقر البويهيون في العراق ...

هذه هي مظاهر التفاهم بين بغداد والقاهرة ، ومتى كانت نتيجة للرابطة التي بينهما كما ذكرت تخلقت هذه المعاملة الحسنة كما أنها هي التي منعت كلا من الفاطميين والبويهيين على أن يقضي الواحد منهما على الآخر ، وذلك بالرغم من أن غرض الفواطم الرئيسي كان تدمير العباسيين المنتصبين للخلافة ، ولكنهم لما وجدوا تشيعاً في بغداد مالكا لها أحجموا عن اتخاذ هذه الخطوة العدائية . ولكن مع هذا لم تكن العلاقة صافية تماماً في هذه الفترة ، لأن وجود قوتين متواجهتين يؤدي حتماً إلى نوع من التنافس قد يتعدى إلى حوادث أخرى وبخاصة في أول هذه الفترة ، ولكن رغم تقلب الحوادث سرعان ما تعود الأمور إلى مجراها بحكم اتفاقهم في المبدأ ؛ فمثلا نرى عز الدولة بختيار قد أمدّ القرامطة بالمال والسلاح عند ما تقدم الفواطم وكادت نارهم تلفح وجه العراق وقد كان مدفوعاً

(١) ابن الأثير ص ١٧٧ الجزء الثامن

(٢) الجزء الرابع النجوم الزاهرة ص ١٢١

لاتخاذ هذه الخطوة خوفاً على ملكه ، ولكن سرعان ما عادت الحال إلى الصفاء بعد ذلك . إذ ظهرت بأجلى صورها فى عهد معز الدولة وعضد الدولة .

الفترة الثانية :

تأتى هذه الفترة بعد عضد الدولة إلى نهاية الدولة البويهية .

كان طبيعياً أن العلاقات الحسنة بين بغداد والقاهرة والتى استمرت على أتم صفاء ، وبلغت أقصاها فى عهد معز الدولة ، وعضد الدولة ألا تستمر إلى الأبد ، لأن السلطان البويهى الذى كان عاملا مهماً على التفاهم بدأ يضعف ، أصبح الخلفاء العباسيون قادرين على التدخل فى أمور الدولة والسياسة وانتهزوا فرصة هذا الضعف لاظهار ما يكنون من عواطف البُغض والحقد للدولة الفاطمية . لذلك يجب أن نعتبر أن العلاقة فى هذه الفترة على نقيض الفترة السابقة إذ اتخذت مظهراً آخر من القسوة والكفاح وظهرت نيات الطرفين واضحة بالبغضاء . ولعل أول مظهر لاسترداد الخلفاء العباسيين سلطانهم المفقود هو منعهم (كما يذكر أبو المحاسن) الرافضة من أهل الكرخ والطاق من النوح فى يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح ، ولكن هذا التحرر نوعاً من قيود البويهيين لا يُعنى أن الخليفة العباسى قد أُطلقت يده أو أن فى استطاعته أن يعمل شيئاً إيجابياً فهذا من المحال . لأن الخلافة العباسية كانت فى أخريات أيامها عاجزة عن كل هجوم إيجابى على من قاسموهم سلطانهم وإن كانت لا تعجز عن الهجوم بسلاح آخر هو سلاح الكلام ، والطعن فى نسبهم إلى فاطمة ، خاصة أن الدولة تأسست على هذا الادعاء ، وكانت دعوتهم قبل أن ينشرها داعيتهم أبو عبد الله الشيعى سرية ، وذلك خوفاً على أئمتهم المستورين من ولاة العباسيين فى ذلك الوقت فساعد هذا الجو على الطعن فى الظلام ، ولذلك صدر محضران الأول فى سنة ٤٠٢ هـ فى عهد القادر بالله المعاصر للخليفة الفاطمى المستنصر وذلك بعد مضى قرن على إنشاء الدولة الفاطمية ، وقد قرئت هذه المحاضر المملوءة بالقدح فى نسب الفاطميين ونسبتهم إلى مجوس ، فى المساجد وأعلنت للناس . ولا يعنى هذا التجريح فى نسب الفاطميين بعد قرن أنه لم يكن موجوداً قبل ذلك أى قبل المحاضر فقد أيد هذا الطعن فى نسبهم بعض المؤرخين أمثال ابن خلدون ، وأما سبب ظهور هذا الطعن بعد مضى قرن فيتحصل كما يظهر للأستاذ الأمير مامور فى كتابه :

"Polemics on the origin of the Fatimi Caliphs"

١ — الكراهة المتأصلة فى العباسية من نسل على وفاطمة .

٢ — المرارة من مقاسمتهم أملاكهم وذلك حينما هددوا سلطانهم .

٣ — الحقد الذى تولد من منافسة القاهرة قاعدة الفواطم لبغداد قاعدة العباسيين كمركز للعلم والثقافة والفن والأدب الاسلامى

٤ — الخوف من امتداد سلطانهم لما بقى فى أيديهم .

٥ — الفرصة مواتية لاختلاف العلويين وعدم تضامنهم . فهذه هى الاثنا عشرية والفواطم والأدارسة .

٦ — إمكان التأثير على بعض العلويين وضمهم لجانبهم .

٧ — كذلك البويهيون لايمانعون ؛ لأنه قد نالهم الضعف فقدروا الخطر الفاطمى حقَّ قدره .

٨ — إمكان إثارة العناصر السنية التى توجد فى الأجزاء التى امتلكها الفاطميون .

٩ — إعلان هذه المحاضر فى مثل هذه الظروف يضعف نفوذ الفواطم ، ومن ناحية ثانية فهو لا ضرر منه على العباسيين .

١٠ — ملاءمة الوقت لوجود خليفة مكروه وهو الحاكم .

على أية حال كتب المحضران ، وحرص الخليفتان على أن يوقع عليهما كبار العلويين والقضاة والفقهاء وذلك حتى يزود الطعن بعض الأهمية ولايتسرب الشك إلى الناس ويذكر مامور فى كتابه رأى بعض المؤرخين فى المحاضر ؛ فمثلا قال جرابف فى دائرة المعارف الإسلامية « لم يظهر الشك فى نسب الفاطميين إلا فى وقت متأخر ، وكما يظهر بوضوح أراد العباسيون اتخاذ أى وسيلة شرعية للقضاء على منافسيهم الخطرين » .

(البقية فى العدد القادم)

عبد المنعم ماجد

حقائق عن المادة والفكر

أيهما أصلح طريقاً للمعرفة؟

للأستاذ فؤاد طرزي

الحياة لا تعرف الثبات ولا الاستقرار؛ بل هي في تغير مستمر وفي نزوع دائم نحو التجدد والتحول، تستقر فيها جراثيم التوالد التي لا تني تنقلها من حال إلى حال منذ الأزل وإلى اليوم وحتى يدركها الفناء. وهذه الخاصة الحية هي نداء الضرورة المطلوبة لإيجاد التوافق بين التغييرات الطبيعية والتبدلات التي تشمل مظاهر الوجود، وبين الكائنات الحية التي لا توجد إلا وهي ساعية نحو الكمال والسمو مهما اختلفت الصور التي تختارها لتعرض نفسها على مسرح هذا الكون.

وقد أطلق على هذا الجوهر الأصيل في طبيعة الحياة اسم التطور، وهو يدل على أن كل ظاهرة من ظواهر الوجود توجد في آن واحد، أي أنها تعمل على خلق حال جديدة لها في نفس الوقت الذي تحيا فيه على حال معين. وبعبارة أبسط إنها تتجدد وتتجدد إلى أن تهرم وتموت. سمه التطور أو الديالكتيك أو ماشئت له من المسميات ولكن بعد أن تعرف أنه الأساس الذي تقوم عليه الحياة وأنه مفروض على الأحياء والجمادات وهو يعمل من غير أن يُطلب أو تُراق لاستحضاره الدماء، بل إن كل ذلك لا يبدّل غايته ولا يغيّر وجهته.

كل هذا الذي نقوله متفق عليه من جميع الفلاسفة وعلماء الاجتماع، وهو ثابت بالبراهين الجدلية والعلمية لا ينقضه برهان أو ينكره إثبات، ولكن الاختلاف هو في ماهية هذا التطور أو في الدافع الذي يحركه في سيره الدائب: فمنهم من يرجع هذا الدافع إلى عوامل مادية، فيقرر أن المادة هي الكل وهي التي تقود التاريخ وتوجه الأحياء، وهي الأصل الفرد الذي لا ينازعه أصل والإله الحقيقي الذي لا يشاركه إله، أو هي — كما يقول انجلز — دورات الوجود الأبدية التي تتم بها الحياة. وأما الآخرون فيؤمنون بأن الفكر الملهم هو الذي يسوس الوجود، وأن العقل المدبر هو الذي يمسك بزمام الطبيعة وهو الذي ينفث القوة في المادة فتكتسب الحياة أو يتركها طينة باردة لا تقدر على الحركة والتحول والإيجاد. فالفكر هو الخالق وهو المبدع، وفي خلقه وإبداعه يستوحي سنة أبدية تعمل بغير انقطاع؛ هاتان الفكرتان ظلتا تتنازعان تارة في ميدان الفلسفة وحيناً في ميدان الإصلاح، وأخيراً ظهرت إحداهما وهي الفلسفة المادية في شكل مذهب يريد إقامة المجتمعات وفق أصوله وقيمه.

وإذا أردنا النزول إلى ميدان البحث المقارن، ورغبنا في وزنهما من حيث الأساس الذي قامتا عليه، وجدنا أن التفسير الفكري أقرب إلى الحقيقة التي يتركب منها التطور وأدخل في باب الشروح العميقة التي لا تحكم على المشاهدات المحسة ولا تقنع دون النزول إلى أبعد الأبعاد للتعرف على ماهية الموجودات وهذه جملة أدلة تثبت صحة ما نقوله:

(أولا) المادية امتداد والفكرية عمق. والفرق بين الامتداد والعمق أن الامتداد يشغل مكاناً يظهر للعيون والأبصار، وأما العمق فيختلف من غير أن يظهر للحواس فهو يُعرف بالبحث المجرد والتأمل النظري أو هو الحقيقة الفعالة وراء المعنويات ينفث فيها الأكسير الذي لم يستطع العلم تحديده... هذا الأكسير مادة أثيرية جرى العرف على تسميتها روح الحياة. وإذا أردنا أن نضرب الأمثال لنظهر الاختلاف في هذا بين الماديين والفكريين فلنأخذ ظاهرة اجتماعية كبرى تكاد تكون حادثاً فاصلاً في التاريخ، وهي معروفة للجميع، ألا وهي الثورة الفرنسية.

فاذا قلت للماديين ما الذي أشعل نار هذه الثورة؟ أجابوك بأنه السعي وراء الخبز أو الانقياد وراء المادة، يتمثل في ثورة الجياع على المترفين، أو هي شكل من أشكال النضال الطبقي بين المحرومين والمتخومين. وكيف لا يكون ذلك وهذه الجماهير خرجت ثائرة تصرخ (نريد الخبز). أيوجد أكثر من هذا السبب الواضح الذي يؤيد رأينا؟ دون شك أنك تلاحظ أن هذا التفسير هو الذي سميناه التفسير الأمتدادي، والذي عرفناه بأنه التفسير الذي لا يوغل في الأعماق ولا يتعرف إلى الماهيات من معرفة أصولها وجواهرها، وأصحابه لا ينفذون إلى أبعد من مرأى العين ولا إلى ماوراء البصر، في حين أن العين لا تستطيع

الأحاطة بأكناه الأشياء ، وأن البصر ليس بمقدوره أن يواتى البصيرة الوقادة التى تخترق الحجب وتهتك الأستار لأنها تدرى أن وراء الجسوم قوة مجهولة ووراء الأشكال الظاهرة عوامل مسيرة دافعة . إن الثورة الفرنسية تبدو ثورة من ثورات الجياع لمؤلهى المادة ، ولكنها فى الحقيقة ثورة أوقد نارها الفكر الثائر قبل أن يضرمها الخبز ، وأنها لم تكن لتحدث لو لم يقدح زنادها هذا المشعل المحرق . ولنعلم أن الإحساس بالظلم لم يشعر به الكادحون الذين كانوا فى خدر لذيذ يرون العبودية جزءاً من الحياة لا محول عنها بعد أن لصقت كأشبه ما يكون بالقانون فى ضمائرهم ، بل ان الذين شعروا به هم المفكرون الذين أيقظوا النائمين ووضعوا خطط التحرير . فهؤلاء المفكرون أحسوا بالظلم وتألموا من الاستبداد فى الوقت الذى كان فيه الجائعون ينظرون إلى أسيادهم كأنهم من ظلال القدرة العلية فى الأرض . وعندما تألم هؤلاء عملوا فى سبيل وجود أفضل و«مجتمع أصلح» فأخذوا ينفثون القوة فى هؤلاء الذين استكانوا للظلم وراحوا يعلمونهم معنى الحق والعدل والحرية — هذه الألفاظ التى خلقوها خلقاً وأوجدوها ايجاداً . وأما المطالبة بالخبز فلم تكن إلا جانباً من الشعور بالحق ؛ هذا الشعور الذى ابتدأ فكرة مجردة ثم أخذ يعمل ليكون حقيقة واقعية . فبعد أن تمكنت فكرة الحق من النفوس عرف الناس أن من حقهم أن يشاركوا فى الرفاه والسعادة الأقلية المحتكرة . فالفكر هو الذى هدى وعلم ولم يكن أصحاب الخبز إلا تابعين يأتمون بأمامته . كان الفكر هو المحرك وكانت المادة عنصراً من العناصر التى تعاونت معه . كان هو الأصل ... هو الحقيقة الاسنية ، وإن شئت فقل هو الجوهر المفرد الذى يتركب منه الكون . قل لأصحاب المادة — كما يقول لهم الأستاذ أحمد أمين — هذه عناصر الخلية اخلقوا لنا منها خلية كخلايا الوجود . وعندها ستعرف أنهم لايستطيعون فعل ذلك مهما أوتوا من مقدرة علمية ، لأن جوهر الخلية كنه مجهول ينفث فيها الحياة ، وهو سر غامض لاندرى ماهو وكل ما نعرفه عنه ما يبدو من آثاره .

(ثانيا) يجول الماديون ويصولون ويروحون ويجيئون فى دوائر جهنمية لاحدود ولا منتهى لها . وكل ذلك ليفسروا فلسفة عمياء كليلة لا تمت من مقدمات الأسس المنطقية ماتستطيع بها أن تحيط بالوجود من جميع جوانبه . وهم يريدون تفسير الوجود فكان أمامهم طريقان : إما أن يقولوا إن هنالك قوة مدركة حية تحرك السكون وتدير الحياة وهى بمثابة العلة الأولى لكل هذه النتائج ، وإما أن يركبوا متن الشطط فيؤمنوا بالمادة الصماء التى لا تعقل ولا تحس ، فاختاروا التفسير الثانى وتركوا الأول . ولا أدرى لماذا تترك فلسفة تفسر الوجود بالوجود لنتملق بأهداب فلسفة غامضة تفسر الوجود بالعدم . فأمامكم يا ناس حركة وأمامكم حياة فلم لا تؤمنون بقوة الحركة وبقوة الحياة ، لتغوصوا فى أعماق مجهولة لتؤمنوا بالجماد الذى لايتحرك ولا يحس . إن مثلكم كمثل الذى يؤثر الظلمة على النور ، أو كمثل الذى يمسك بالحقيقة البينة ولكنه يدعها تفلت منه لأنه يستعذب الجرى والركض ولو إلى غير غاية .

(ثالثاً) ومهما تشعب القول فان هذه المادية منقوضة علما ومنطقا ، فهى لاتستطيع أن تفسر ما الأمل وما الطموح وما الأحلام . كما لا تستطيع أن تفسر لماذا يموت الجندى فى سبيل وطنه ، والتفسير المادى يقتضى منه أن يقدم ذاته على بلده . ولا تستطيع أن تفسر أيضاً كيف تفتدى الأم وليدها فى حين أن ظواهر الأشياء ومنطق التفسير المادى يفرضان عليها حب نفسها قبل غيرها . ويثبت المنطق أن الفكرة قوة من القوى والمادة شكل جامد ، وأن هذا الشكل لايكتسب الحركة إلا بعد أن تحل هذه القوة فى هيكله . فالفكرة هى التى تدفع وتوجه ، والمادة تتشكل وتتخذ أوضاعاً ظاهرة . وقد يقال لا موسيقى بلا أوتار ، ولا بناء بلا أحجار ، ولا فكرة بغير مادة عصبية ؛ ولكن الكمنجة ليست هى الموسيقى ، والبناء ليس هو الأحجار ، والذهن ليس هو الفكر . إن لحنا من ألحان بتهوفن — كما يقول الفيلسوف رينان — موجود على الورق ، ولكن من يكسبه الحركة والحياة ؟ بلا شك العقل . وإن الفعل الارادى الذى يتمثل فى الاهتزاز هو الذى ينقله من عالم الجماد إلى عالم الحياة ، وهذا الاهتزاز حقيقة عضوية قابلة للوزن والقياس . إن الفكرة قوة تريد أن تكون والمادة تعينها وتنقلها إلى الكينونة والواقع . إن الفكرة هى الموجودة فى الواقع وهى وحدها الكامنة ،

ونطمح إلى الوجود التام بإيجاد التراكيب الكيميائية لإظهارها.

من كل الذى ذكرناه نرى أن الفلسفة المادية لا يمكن أن تتوافق مع الغاية التى تتحول اليها الظواهر والشيات والكائنات ، لأن هذه كلها ترتفع من الأدنى إلى الأعلى ولا ترتد إلى حالة سابقة ولو تعاونت على ذلك كل قوى الانسان ، فى حين أن التوحيد المادى ارتداد رجعى إلى حالة سابقة حيث يتحكم كل شىء فى الإنسان فلا إرادة تستطيع أن تؤثر فى مجريات التقدم لأن هناك قدرا سارما يحكم ، ولا قوة عقلية تقدر أن توجه الأعمال إلى غايات مرسومة لأن الحلقة الآلية قد وضعت الحياة فى دائرتها فلا تدع لها الحرية فى العمل . وكل هذا يعاكس منطق الأشياء حيث نلاحظ أن الانسان كلما سار مع الزمن استطاع أن يخضع الطبيعة ويخضع التاريخ لمشيئته ، وأنه كلما اتجه إلى الأمام ارتفع إلى الاعلى ليتحرر من قيود الظواهر المكانية والزمانية ومن دكتاتورية المعاش ويقرب من الغايات المعنوية فى كل موجود من موجوداته

إن علائم التقدم والتطور تجمع فى كلمتين اثنتين : « الحرية » و « التقدم المعنوى » فالتحرر علامة فارقة لقياس الحضارة ، والتقدم المعنوى عمود التطور إذا جسمنا كلمة التطور وألبسناها حلة التشبيه والتمثيل . وليس قولنا هذا محض سفسطة ومغالطة ، بل هو منقول عن الحياة بعد أن خضع لمعايير العلم وتجارب التاريخ وعبر الازمان . فالعلم يقرر أن الانسان كلما ارتفع صعدا فى سلم الحضارة دقت عضلاته ومرنت عظامه وخفت حركته ، أى كلما تقدم تحرر من قيود جسمه ليماشى الكون فى حركته الدائبة نحو الخروج ونحو الانفصال عن المركز إلى الخارج فى اندفاعاته الانتقالية . وتحطيم الذرة فى عصرنا الحديث ليس إلا مظهراً من مظاهر الشوق الوجودى إلى التحرر والانفصال عن الكتل والهيولى . إن كل ما فى الكون فى حركة دائمة يريد التحرر من المادة والدنو من الصورة ، ويعمل على أن يفك عنه قيود التجسم ليعود إلى النموذج والمثال . فالصراع بين الهيولى والصورة والذى كان لب فلسفة أرسطو العظيم هو ناموس الأبد ، بل قل جرثومة التطور وقانون الحياة .

ولعل التقدم المعنوى هو فرع من ناموس الحرية الذى فرض ارادته على الحياة فى كل سبيل من سبلها . وإذا أردنا أن نشرح هـــذا أكثر ، فلنأخذ أشد الألفاظ لصوقا بالإنسان وأقدمها فى معاصرتها له ، ولنسر وإياها فى تاريخها الطويل ؛ فأننا سوف لا نجدها الاسائرة من التعبير عن ملابسات المادة إلى السمو والدلالة على تعبيرات الروح والفكر . خذ كلمة « الضحية » وهى الكلمة التى كتب عنها الأستاذ العقاد بحثاً قيماً فى عدد من أعداد الرسالة ، فهذه الكلمة أول ما وجدت فى الحياة ، وحياة الإنسان خاصة ، كانت تعنى « النذر » التى كانت تقدم للأرباب والمعبودين ، ولم تكن تعنى غير هذا المعنى المادى الملموس الدال على تقديم علائم الخضوع فى شكل أشياء مادية لاسترضاء الآلهة .

ولكن بعد أن سار الإنسان أشواطاً جديدة فى ميدان الحضارة أخذت الكلمة تدل على معان جديدة وراحت ترتفع من الدلالة على الأشياء المادية إلى التعبير عن أشياء معنوية كأنكار الذات وفداء النفس فى سبيل الوطن أو فى سبيل الشرف أو لأراحة الضمير ونحوها من المجازات والدلالات على معانى الأخلاق السامية .

(بغداد) **فؤاد طرزى**

هاروت ...
أو الملك الثائر

للاستاذ عثمان حلمي

في جنان الخلد مأواه   ملك أكرمه الله
ناعم فيها فما نظرت   ما يسيء النفس عيناه
همه تمجيد مبدعه   من بسحر الخلد سوّاه
من بنور الحسن جمّله   وبحسن النور حلاّه
تفتن الألبابَ طلعته   ويثير الحبَّ خدّاه
فاتن ضاحك محياه   جل من سوّى محياه
ظل في الفردوس يمرح في   ظلها ، في ظل مولاه
معجز في حمد بارئه   كل لحن يتغناه
لم يدُرْ يوما بخاطره   عالم الدنيا ولا ما هو
لا ولم تدرك مشاعره   من صميم الشر معناه
ما درى للشر من وطن   أو بأن الأرض دنياه
كاد ما يدريه من قدم   عن أبي الإنسان ينساه
نبأ ضاعت معالمه   وانقضت في الغيب ذكراه
قصة عن آدم سلفت   سجلت فيها خطاياه
آدم المسكين ضيعه   ما جنَتْ في الخلد حوّاه
قد أراد الله فتنته   فليكن ما شاءه الله
ذاك أقصى ما أحاط به   ملك في الخلد مثواه
ثم دار الدهر دورته   غيرت في الدهر مجراه
دورة جدّت فما ونيت   أفقدت هاروت سماه
فتولاه الأسى وبكى   ما قليل ما تولاه
لفتة للأرض واحدة   بدلت منه سجاياه
الطروب القلب يزعجه   هاتف بالهمّ يغشاه
والقرير العين مكتئب   تتندى منه عيناه
ما الذي بدل فطرته   ما الذي جدّ فأشجاه
قد رأى الدنيا وقد وسعت   كل شر كان يأباه
ظالم فيها ومجترم   قاتل ضجت ضحاياه
ليس يرضى بالدماء وقد   رضيت بالموت قتلاه
وأخ يرمي أخاه وما   من ضمير ثمّ ينهاه
وعزيز الجاه ذو صلف   وضعيف الجاه يخشاه
وشرور ما لها عدد   وبنو الإنسان أشباه
ووجود كله أثم   صارخ والموت عقباه
ذلك الإنسان أكفر من   خلق الله وسوّاه
يا لقلب جُنّ من هلع   لم يصادف ما تمناه
يا له في الخلد من ملك   في رياض الخلد مثواه
ثار حتى لم يجد فرجا   أو رجاء يتملاه
وتولى سائلا جزعا   ما الذي يقصده الله
لو سكنت الأرض كنت بها   مصلحا ترجى نواياه
أصلح الدنيا وأجعلها   مثلا للخير أرضاه

***

صوت :

لك هذا ، إنه حسَن

هاروت :

ولك العزة والجاه

صوت :

شهوة الإنسان جامحة   ركبت فيك ودنياه
آدمي أنت في ملك   طاهر طابت خفاياه
فامض واغسل بالطهارة من   عالم الدنيا خطاياه
وإلى بابل إن بها   ما تؤمله وتهواه

* * *

فأتاها باسما فرحا   ليس يدري ما سيلقاه
يسرت بالطهر يسراه   وسرت باليمن يمناه
إن رأى خيرا يسر به   أو أرى شرا تفاداه
ورأته الغيد فابتهجت   وسباهن محياه
قلن ما أقواه من رجل   في بني الدنيا وأحلاه
وتمنت كل غانية   لو غدت فيما تمناه
ورأى فيهن فاتنة   وله جملها الله
تخذت من قلبه سكنا   ولمهد الحب مأواه
واستبدت في عواطفه   فهو يرجوها وتأباه
قوة قد كان يجهل ما   سرها والحب أنشاه

كم نهاه عقله فأبى ... أى عقل كان ينهاه
والهوى طاغ وأحسبه ... إن طغى جلت ضحاياه
إن أصاب العقل زلزله ... أو أصاب القلب أرداه
يا لهذا الحب كم جهلت ... كل ما يجنيه قتلاه
يا لهاروت القوى وقد ... بدل الحب سجاياه
يا لهاروت الضعيف وقد ... كان ما قد كان يخشاه
الهوى والسهد أعياه ... والجوى والوجد أضناه
ورأت من كان يعبدها ... أن سهم الحب أصماه
فدعته فانثنى طربا ... وهو لا يدرك عقباه
ثم أغرته بكأس طلى ... ما تأنَّى إذ تعاطاه
ثم أغرته بقتل فتى ... كان يقلاها وتهواه
فرماه فى الصميم وقد ... ختمت بالقتل بلواه
وأفاق وهو فى جزع ... قاتل يلعنه الله
أى عذر بعد فعلته ... أى صفح يتلقاه

***

إن سر الخلق يستره ... عالم بالخلق أخفاه
غاية يضمر منشئها ... كنهها من يوم أنشاه

الغريبة (*)

[من ديوان « أغاني الليل » الذى سيطبع قريبا]

للأستاذ عمر أبو قوص

خرجتُ عند الأصيل منفرداً ... أضرب فى الأرض حاملاً شجنا
وكان فصل الخريف قد بدأت ... آفاقهُ تحمل المزُنا
وكانتِ الروحُ وهى والهةٌ ... تندب حباً رعيته زمنا
فأبصرت مقلتاى عن عرض ... غريبةً قد تهالكتْ وهَنا
[illegible] للنفس هاهنا فقفى ... أو فاطلبى الأفق بعدها وطنا

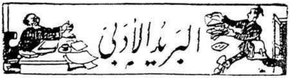
***

يا زهرة فى الحديقة انفردت ... اما ترين الأوراق والغصُنا
الركب ولّى وأنت باقيةٌ ... تحيين أمجادَهُ وما فطِنا
أأنت قربانُ عاشقٍ دنفٍ ... قدّم للحب روحَهُ ثمنا
أم شاعر فى الحياة معتزل ... يحلمُ فيها ليقتلَ الزمنا
أم بسمة فى الخريف شاحبة ... لما تعرّى ليلبس الكفنا
أم نجمة فى النجوم شاردة ... حطّت على الأرض تبتغى سكنا
كأن فيك الكافورَ منتشراً ... يبعث فىَّ الفتور والوهنا
فيذهب الوهم آخذاً بيدى ... حيث أزور القبور والدمنا
أىّ غريب مضى لطيته ... يطوى الفيافى والسهل والحزَنا
حتى إذا مات لم يجد أحداً ... يبكى عليه ولم يجد سكنا
فكنت فى البر أنت شاهدة ... عليه تبكين قلبه حزنا
أم هو فى أهله وقد جهلوا ... أسراره والدموع والشجنا
غريب روحٍ مستوحش أبداً ... إن حلَّ لم يسترح وإن ظعنا

***

وعدت للبيت والدجى ظهرت ... راياته والنهارُ قد جبُنا
وعاد كلٌّ لأهله فزعاً ... حتى إذا صار بينهم أمنا
وكانت الريح وهى ثائرة ... تعصف عصفاً والغيث قد هتنا

(*) اسم زهرة من زهور الخريف



الأستاذ علي الطنطاوي في القاهرة :

وُفقت وزارة العدل السورية إلى إيفاد القاضي الفاضل السيد علي الطنطاوي إلى مصر سنة كاملة للوقوف على الأنظمة القضائية واللوائح الشرعية ، والاطلاع على تطور الأحوال الشخصية والدراسات القانونية في المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية والمجالس الحسبية ومقارنتها بالتتبع في سورية لتهتدي الوزارة على ضوء أبحاثه ودراساته وتقاريره إلى تنفيذ ما تريد في محاكمها من الاقتباس أو المحاكاة أو التعديل . والأستاذ الطنطاوي بثقافته الشرعية الأصيلة ، ومواهبه النادرة الجليلة ، وخبرته العملية الطويلة ، أقدر القضاة على الاضطلاع بهذه المهمة ، وقد ورد الأستاذ القاهرة مساء الخميس الماضي ، فعلى الرحب والسعة

١ — أسبوع الأمير :

كان الأمير شكيب أرسلان رحمة الله عليه أضخم شخصية عربية ، وكانت له مزايا جمة كل مزية منها تجعل صاحبها لو اقتصر عليها من عظماء الرجال ، منها أنه المؤلف المكثر المجود ، ولو لم يكن له إلا تعليقاته على حاضر العالم الإسلامي ، والحلل السندسية ، ولماذا تأخر المسلمون ، لكان بها من كبار المؤلفين . ومنها أنه الكاتب الذي ملأ الشرق والغرب نثراً بليغاً ، وكان لسان الإسلام ومدره العرب ؛ وأحسب أن مقالاته لو جمعت لجاء منها كتاب في ضعف حجم الأغاني . ومنها أنه السياسي الأكبر الصادق الفراسة الصحيح الرأي البعيد النظر ، أنذر وحده العرب (لما قاموا باسم القومية يطعنون الأتراك إخوانهم في الدين في ظهورهم) وحذرهم عاقبة ما هم فيه ، وقال لهم إن الإنكليز لا وفاء لهم ، وإن الشام إن تخرجوه الآن من يد الترك تدخلوه في أيدي غيرهم ؛ فكان والله ما قال ، فلما انقلب الأتراك وولوا وجوههم عن الإسلام لوى عنهم وجهه وكان حرباً عليهم . وهو الذي أثار الدنيا على الظهير البربري ؛ وهو الذي أرجع عرب الجبل الأخضر ، وهو الذي كان سفيراً دائماً لنا في ديار الغرب ، سفيراً بلا أبهة ولا رتب يرتضي حياة التقشف ويصبر على مر العيش . ومنها همته وثباته ؛ ما كتب إليه إنسان إلا أجابه ، ولا خاطبه رجل إلا رد عليه ، ورسائله تعد بعشرات الآلاف . ومنها وفاؤه ونبله ، وهذان كتابان عن شوقي والسيد رشيد يقومان دليلاً ولا يعوزنا الدليل . ومنها — ولن تحصي هذه الكلمة مزاياه ، ما يحصيها إلا الدرس الطويل ؛ لذلك فكرت دمشق التي روعها نعي الأمير ، وجاءها نبأ وفاته وهي تعد العدة لاستقباله ، تأمل أن يجيئها أعز زائر وأكرمه وأعظمه ، فكرت في أن :

١ — تقيم أسبوعاً للأمير رحمه الله في مدرج الجامعة السورية في دمشق يتعاقب فيه الخطباء والمؤبنون .

٢ — تنشر ما ينشر من كتبه وتعيد نشر المطبوع منها .

٣ — تجمع رسائله الخاصة وتحصيها .

وتألفت لذلك لجنة تمهيدية برياسة صديق الفقيد الأستاذ السيد عارف النكدي رئيس مجلس شورى الدولة ، وعضوية الأساتذة السيد سامي العظم المفتش العام في وزارة العدلية ، والسيد عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي ، والسيد أنور العطار شاعر الشباب السوري ، والسيد مظهر العظمة مدير مدرسة التمدن الإسلامي ، وعلي الطنطاوي ، ورئيس الشرف في هذه اللجنة الأمير عادل أرسلان ، لا لأنه وزير المعارف ، ولا لأنه أخو الفقيد ، بل لأنه صديقه وما كل أخ صديقاً ، ولأنه أعرف الناس به وأشدهم حباً له ، ولأنه الشاعر الفحل ، والوطني المجاهد ، ولأنه الأمير عادل أرسلان . رحم الله الفقيد وألهم هذه الأمة الوفاء له ، والاقتداء به .

(ع . ط)

٢ — عالم بين الكتب :

من أنباء المعارف في الشام التي تسر وقل فيها السار ، أن الوزارة ستجعل إدارة دار الكتب الظاهرية للأستاذ أبي قيس عز الدين التنوخي ، وهو اختيار موفق لأن دار العلم لا يجوز أن يقوم عليها إلا عالم

(ع)

١ — واجب الوفاء !

تألفت فى سورية عدة لجان لتأبين فقيد العروبة والبيان المغفور له الأمير شكيب أرسلان .

وسورية هى الوطن الذى ولد فيه الفقيد ، وفى ترابه دفن جثمانه العزيز ، فلا أقل من أن تنهض بهذا الواجب حكومة وشعباً جماعات وأفراداً ، نحو رجل من أبر أبنائها ، وعبقرى من أعظم شخصياتها .

ولكن ما بالنا لم نر أثراً لمثل هذا التفكير إلى الآن فى مصر وقد استوطنها الفقيد فترات من الوقت ، وكانت له برجالاتها صلات وثيقة ، وقد عاش طول حياته يفزع لأمورها كما كان يفزع لسورية وطنه ، ولكل قطر عربى ؟! .

لقد قضى المغفور له الأمير شكيب أرسلان حياته ينادى بالوحدة العربية ، ويدعو إلى تقوية الصلات الشرقية ، ويندد بشنائع الاستعمار فى كل بلد عربى ، فليس الأمر فى تأبينه وتخليد ذكراه أمر سورية وحدها ، ولا أمر مصر وحدها ، بل هو واجب على العالم العربى جميعه ، فهل للجامعة العربية وقد كان الفقيد من أكبر دعاتها ورعاتها فكرة حتى غدت عقيدة ثم أصبحت حقيقة ، أن تنهض بهذا الأمر ؟ وهل للأمين العام للجامعة سعادة عبد الرحمن عزام باشا أن يوجه الدعوة بذلك قياماً بالواجب ووفاء بالدين ؟ ! .

٢ — لن يترنم الأطفال بأناشيدهم !

جاء فى الأنباء البرقية الأخيرة أن سلطات الاحتلال فى ألمانيا حرمت على الأطفال أن ينشدوا أنشودة « الفارس المقدس » التى اعتادوا الترنم بها فى الاحتفالات الرسمية لعيد الميلاد ، والاحتفالات الشعبية التى ينظمها معلمو بساتين الأطفال فى مدينة شفيرين ، كما حرمت عليهم أيضاً إنشاد ترنيمة أخرى وضعها مكتب الشباب فى المدينة ؛ ومنعت المعلمين كذلك من اخراج روايات عيد الميلاد التى تظهر فيها الملائكة ! !

مساكين أولئك الأطفال فى ألمانيا ... لقد شردهم الجوع ، وقتلهم البرد ، وأفقدتهم الحرب الجهنمية ، الأب الحنون ، والأم الرؤوم . والأسرة البرة الراعية ، وإن عيد الميلاد ليطالعهم بصبح متجهم .. يفتشون فيه عن اللقمة السائغة فلا يجدونها ، وعن اللعبة المسلية فلا يظفرون بها ، وعن البهجة المشرقة فتنخلع قلوبهم هولا مما يرون ، حتى أناشيدهم المحبوبة أصبحت حراماً على ألسنتهم . .

يقولون إن الانسانية تحضرت بالعلم ، وتهذبت بالفن ، ونضجت بالتجربة . . ولكن أين مظهر هذا وجدواه ؛ وما زالت الشريعة بين الغالب والمغلوب قائمة ولها ناب الأسد وظفره ، وشراهة النمر وفجوره ، ولكن ليس لها أى قلب . .

إن القسوة الغاشمة لاتربى النفوس أبداً على حب الخير والتسامح ، فحرمان الأطفال من أناشيدهم ، ومتعهم ، لن يربى عواطفهم إلا على الحقد والضغينة ؛ وغداً عند مايبلغ أولئك الأطفال مبلغ الرجال سيكون أول مايفرجون به عن عواطفهم المكبوتة هو الثأر من أولئك الذين حرموا عليهم كل شىء ، حتى الترنم فى العيد بأناشيدهم المحبوبة .

محمد فهمى عبد اللطيف



كتب وشخصيات

تأليف الأستاذ سيد قطب

هذا كتاب في النقد ، نقد الأدب المعاصر ، جاء في إبانه ، فقد أصبحت المكتبة العربية الحديثة كما قال المؤلف : (تستحق « ناقدا » ففيها أعمال أدبية ناضجة ، وفيها مذاهب فنية متبلورة كما أن فيها محاولات واتجاهات تستحق الاهتمام ، فالناقد خليق أن يجد له عملا في هذه الظروف الجديدة ...) (١)

وقد تناول المؤلف بالنقد في هذا الكتاب « كتباً » في مختلف أنواع الأدب ، ومعها « شخصيات » مؤلفيها من شتى البلاد العربية ، وحرص على أن تكون هذه الشخصيات « من جميع الأنماط والمستويات والاتجاهات » كما حرص على أن يصور شخصية كل أديب تناول أحد كتبه بالنقد ، « فالكتاب وصاحبه في هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميزان » (١)

لاشك أنك الآن عرفت معنى اسم الكتاب « كتب وشخصيات » وتصورت موضوعه على وجه الإجمال ، ولا أسارع — كما فعل المؤلف في أكثر كتبه وشخصياته — فأعطيك « مفتاح » شخصية مؤلفنا ، بل أرى أن نجول معا — أولا — في أنحائه ، ونتعرف سماته وطرائقه على قدر ماتحتمله هذه العجالة.

بدأ الأستاذ سيد قطب بفصول في النقد العام ، بين فيها أصولا وأسساً نظرية للنقد ، أهمها أو رؤوسها أن حق الناقد في الحكم على صحة الحالات النفسية والصور الذهنية رهن بالنسبة بين رصيده ورصيد الفنان من الآفاق النفسية ، والتجارب الفنية على السواء .

وأن صعوبة فهم النصوص الأدبية لا ترجع إلى غرابة اللفظ ووعورة التركيب ، إنما « هي صعوبة التصور والإدراك بسبب نقص الرصيد النفسي من التجارب الحسية والذهنية والروحية »

و« أن الطبائع الفنية الممتازة ، والنفوس الفنية الموفورة الرصيد ، أقل عدداً في هذه الحياة من الطبائع الشائعة المكرورة والنفوس المحدودة التجاريب » .

وأن مادة الفن الأصيلة هي التجارب الإنسانية ، ومهمته أن يعرضها ويصف جزئياتها ، ويسجل الانفعالات التي صاحبتها ويصور ما أحاط بها من تصورات وأخيلة ، وأن قيمة العمل الفني في الاحتفاظ لهذا التصوير بالحرارة التي صاحبت الانفعال ، وأما من يلقي الحقيقة الأخيرة التي انتهى إليها من تجربته فإن عمله يفقد المتعة الفنية ولا يستثير الحس والخيال بالمشاركة الطويلة المفصلة

وأن التعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلا أدنى إلى الفن من التعبير الذي يلقي المعنى مجرداً .

وأن الشعر يستمد معظم مؤثراته وانفعالاته من وراء الوعي « وكلما فاض الشعور فطغى على الوعي ، وانطلق يستمد من الرواسب النفسية ويستوحي الظلال الشعورية ، كان يجري في ميدانه الأصيل ، وينشيء أجل آثاره ، وذلك مع عدم إغفال مقومات الشعر الأخرى من عمق وسعة واتصال بالحياة ونفاذ إلى الأسرار الكونية الخالدة » .

وبعد النقد العام بحثان : « النفس الإنسانية في الشعر العربي » و « والطبيعة في الشعر العربي » ثم يمضي الأستاذ إلى الكتب والشخصيات على ضوء الأسس العامة السابقة وما يشع من تفصيلات وفروع . وهو يعني في معظمها بالشخصيات أكثر من الكتب ، فكثيراً ما يبدأ بتسليم « مفتاح الشخصية » دون أن يبين كيف صنع هذا المفتاح . ولعله يرمي بذلك إلى عرض نتيجة دراسته للشخصية في مختلف آثارها ، ثم يسير مع القارىء في الكتاب الذي ينقده . وهذا يفسر اهتمامه بالشخصيات أكثر من الكتب ، على أن حظه من التوفيق في إبراز الشخصية كان أكثر في الشخصيات التي جال في أنحائها ودهاليزها وحجراتها قبل أن يعطي « مفتاحها » .

وقد تجلت براعة الأستاذ سيد خاصة في أكثر الموازنات

(١) من كلام المؤلف في الفصل الأول .

التى قام بها بين الشخصيات ومؤلفاتها ، كما صنع بين الدكتور طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم ، وقد خص الثانى بقسط كبير من عنايته فى تحليله وتبيين سماته وملامحه .

والجانب الذى يوجه إليه الأستاذ سيد أكبر همه فى الأعمال الأدبية ، هو الصور والظلال ، فهو يجسم أهميتها فى فصول النقد العام ، ويتلمسها عند كل أديب ، ويجعلها أكبر « سنجة » فى الميزان ، وله ألمعية نافذة فى الوقوف والدلالة عليها .

وقد أجاد فى تطبيق أسس النقد العام على الأمثلة التى اختارها لولا « شنشنة » ما كنا نود أن يكون « أخزمها » فقد حرص فى كل فصل من الفصول الأولى ، عند ذكر ميزات وقيم الفنون على أن يجرد أو ينقص نصيب الأدب العربى منها : فهذا الأدب يغلب عليه طابع المعانى العامة المتبلورة والقضايا الذهنية الكلية ، ويطالع القارىء بنتيجة التجربة النفسية لا بطريقتها التى تشغل الحس وتستثير الخيال ؛ وهو فقير فى الصور والظلال ؛ والشعر العربى لا يستطيع أن يقف على قدميه أمام الشعر العالمى فيما يلمح وراء الألفاظ والمعانى من الظلال الإنسانية والحالات النفسية ؛ وأن الطبيعة لم تكن متصلة بإحساس الشعراء العرب اتصال الصداقة والألفة ، فالطبيعة فى الشعر العربى (تستعمل من الظاهر !)

والأستاذ سيد يطلق هذه القذائف فى وجه الأدب العربى ؛ ثم يخلو إلى قطع مختارة من الآداب الغربية والهندية والفارسية ، معظمها من كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد ، فيعكف على ما فيها من الميزات التى جرد منها الأدب العربى ، ويأتى من الشعر العربى بما يراه مجرداً من اللحم والدم ... وهذا صنيع عجيب لأن القطع غير العربية التى أتى بها مختارة ، والأستاذ سيد لم يطلع على كثير غيرها فى آدابها ، على أن الأستاذ العقاد الذى اختار هذه القطع من معادنها التى هو خبير بها لم يفعل شيئا مما فعله سيد قطب فى استخدامها فى الحملة على الأدب العربى

ولست أرى المجال هنا لإثبات ما نفاه المؤلف عن الأدب العربى ، لأننى هنا بصدد التعريف والنظرات العامة .

وأستطيع الآن أن أقول إن الأستاذ يجاوز ميدانه جاهداً ، فيثير غباراً تقذى به عيون بريئة ...

ولم يكن المؤلف منصفا كل الإنصاف فى الموازنة بين شوقى وعزيز أباظة فى الرواية الشعرية ، ومرد ذلك — فيما ألمح — إلى ما استقر عنده من هوان أمر شوقى فى الشعر ، وقد بدا تحامله على شوقى فى نقد الأبيات الآتية من « مجنون ليلى » :

لم إذن يا هند من ... قيس ومما قال تبرا

أنعم (مناز) مساء ... نعمت سعد مساء

أوغل الليل فلنقم
بل رويدا ... واسمى (ليل)
خلى عنى دعنى

يأخذ عليه فى البيت الأول تسكين ميم (لم) وتسهيل الهمزة فى (تبرا) وفى الباقى ترخيم منازل وليلى بجعلهما (مناز)و(ليل) ويعد هذه ضرورات يعيبها عليه ... مع العلم بأن تسكين همزة (لم) وتسهيل الهمزة كثير جداً فى الشعر ، ولا غبار عليه ... أما ترخيم المنادى فليس من الضرورات ، فهو يكون فى النثر كما يكون فى الشعر ؛ وهذا ، وذاك ، وذلك ، أمور مستساغة ، بل كثيراً ما تستعذب وتستملح .

ومما أخطأه الإنصاف فيه نقده لتيمور إذ يصف فنه بالفتور، وبأنه يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيرة . وهو فى هذا يصنع موازين (غير مختومة ...) ويزن بها .

فهذا أديب وديع لطيف يصدر فى أدبه عن ذات نفسه ، فيؤثر فيه اللطف والدعة ، أليس هذا من « الصدق الذاتى » فى الأدب ؟ أولا يكون النتاج مصطنعاً إلا إذا صخب فيه الأديب وعربد ... ؟

وعلى الرغم من كل ذلك فكتاب « كتب وشخصيات » مرحلة من مراحل النقد فى أدبنا الحديث ، فيها نضج كثير ودنو من المثال ، وأسلوب الكتاب هو أسلوب الأستاذ سيد قطب الذى يعرفه القراء دقيق التعبير نابضاً بالحياة ، وسيد قطب هو «الناقد اللازم» الآن للمكتبة العربية ، وعدته فى ذلك «رصيد» ضخم من الطبيعة الفنية ، ونفاذ بارع ، وجد بالغ ، وقدر لابأس به من التجرد من عوائق مسير النقد فى سبيل الإنصاف ، على أن هذا القدر يعوز الكثيرين ...

عباس حسان خضر

أبو عبيدة بن الجراح

تأليف الأستاذ طه عبد الباقي سرور

كتاب تاريخي لعلم من الأعلام الخفاقة في الإسلام .. الزعيم المتيد أبو عبيدة بن الجراح ، ولا شك أنه شخصية عزيزة على الإسلام أثيرة عند المسلمين كان لها يد ناصعة في رفعة الإسلام وسيف بارق في فتح البلاد التي غزاها ... كان أبو عبيدة رجلا كاملا تجتمع فيه الصفات النبيلة كلها فلا يزهده هذا بل يزيده تواضعاً إلى ربه وخشوعا .. كان يخاف المديح ويتحاشاه وهو الذي هزأ بالموت وتحداه حتى غلب على أمره . ولم يكن هذا صادراً إلا عن النفسية الإسلامية التي لاتنتظر الجزاء عند الناس بل يمتد أفقها إلى ماهو أعلى من الناس وأرفع . كان يأتي كل خير ونظره وفؤاده إلى الله وحده يرنوان ، فنراه حين يتفشى الطاعون في قومه المحاربين بالقدس يأبى أن يعود إلى المدينة ، ويرسل إليه عمر أمراً بعودته ويشفعه بأن هناك جليلا ينتظره فيعرف قصد عمر ويسر لعاطفة الأمير النبيلة لكنه يخالف الأمر لأول مرة في حياته

ونراه قبل ذلك وهو يستقبل عمر على أبواب القدس ، ويعرف عمر بالمرض المنتشر في المدينة فيفكر في الرجوع فيقوم أبو عبيدة في وجهه صارخاً « أفرار من قدر الله يا عمر ! فيجيبه الفاروق في تأثر وخشوع : أجل ! فرار من قدر الله إلى قدر الله » ويظل النقاش دائراً حتى يأتي عثمان فيدلي اليهما بحديث عن النبي (ص) فينحسم النقاش ويرجع عمر أدراجه ، ويدخل أبو عبيدة القدس عارفاً بما ينتظره هناك فيتلقاه في رهبة أبي عبيدة وثباته .. ويجزع أن يجد الخير قد كثر والرزق قد اتسع عليه فيوزع ما لديه حتى لا يصبح عنده إلا ما يمنع العوز ويكفي السؤال . وهكذا عاش أبو عبيدة ، وهكذا مات ، يضرب الأمثال حيا وحين يموت فإذا هي خالدة تشرئب لذكرها أعناق المسلمين وترتفع بها هاماتهم مفاخرة مدلة بقواد الإسلام وأعلامه

ولا يسعنا إلا أن نشكر للأستاذ طه سرور مجهوده القيم ، ولكن يبدو أن المصادر كانت قليلة بين يديه فدعاه ذلك إلى الكتابة بأسلوب انشائي بعض الشيء سبك به القصص التي رواها ولكنه لم يرو عن تاريخ حياته ما يروى غلة القارىء ، وهذا شيء كنا أحوج اليه من الأقاصيص ... كما أن الأستاذ طه عمد إلى الإنشاء أيضا في التحليل الذي كان يستخلصه من الأقصوصة ، وهذا شيء نأخذه عليه ؛ لأن التحليل في القصص إنما يكون لرسم الخطوط الرئيسية في الشخصية حتى تخرج من آخر كل أقصوصة بخط جديد ، وهذا لا يحتاج إلى الإنشاء بل إلى التغلغل في الناحية النفسية التي تبرزها لك الأقصوصة .

وليس معنى هذا أننا نبخس المؤلف حقه ، إنما نطالبه بما كنا نأمل . وعسى أن تحقق آمالنا في البحث الآتي إن شاء الله .

ثروت أباظة